

التوفي

حكمة الاسلام

بجده
صالح الكندي
بيروت - الزوارة

297:M29hA

المنوفي، محمود ابو الفيض.

حكمة الاسلام في معتقده، ومقاصده و

APR 1

A22

احكامه

APR 21

||

MAY 4

||

APR 22

P486

297

M29hA

~~MY 3 33~~

~~MY 18~~

~~- 6 May 67~~

و
ا
و
ف
س
ا
ب
و
ا
و
ب
ا
ف
ا

مقدمة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام ديننا ،
وجعلنا أمة وسطا لنكون شهداء على الناس . والصلاة والسلام على المرشد
الكامل والهادى الأعظم الدال على الله بالله والقائد إلى سبيل السلام بشرعة
الإسلام محمد بن عبد الله (صلعم) وعلى آله وأصحابه وأنصاره أقرار الهدى
وأعلام المعرفة الذين أضاءوا السبيل إلى الصراط المستقيم وبعد :

فهذه أقباس اصطفاها بعض تلاميذى من جملة افتتاحيات لى نشر بعضها
فى (لواء الإسلام) التى أنشأتها فى ذى الحجة سنة ١٣٤٣ هجرية الموافق يونية
سنة ١٩٢٥ ميلادية وبعضها لم ينشر بعد وإنما أعد إعداد لينشر فى مجلة العالم
الاسلامى التى سنصدرها إن شاء الله فى هذه السنة وقد أحوافى وجوب طبعتها
بين دفتى كتاب لينتفع به المسلمون من وجه وغير المسلمين من وجه آخر لأنه
بحث عام فى حكمة الاسلام من جهة عقائده وتشريعه ومقاصد الانسانية العالمية
وصلته بالعلم الحديث وبالتمدين الصحيح وبالتيار الفكرى العام وعلم الله أنى
لم أقرر إلا الحقائق ولم أتعصب لدينى لأن التعصب الأعمى ليس منه فى شىء
ولم أبالغ فى الانتصار لملتى إذ أنها حفية بالإبانة عن نفسها بنفسها والتوفيق
بيد الله وهو يتولى الصالحين . وإنما كتبت ما كتبت ليفهم الاسلام على
حقيقته فلا يخبط فى أصوله من الذين لا يعرفونه خابط ولا يخلط فى هديه
الصريح خالط ولتضح هديه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ،
فيدكرون الاسلام على حقيقته بعد عرفان نبل غايته وسلامة مبادئه ويرون
أنه دعوة عامة للخير والسماحة والنبل والحرية وما يذكر إلا أولو الألباب

حكمة الاسلام في معتقده وفي أحكامه ومراميه

الإسلام دين الجميع

«شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»

لم ير العالم إلى الآن ولن يرى بعد الآن في تاريخ الديانات دينا كالإسلام يأمر متبعيه بتصديق جميع الرسل والاعتراف بسائر الكتب ونزاهة المعتقد عن سائر ضروب الشرك والتسامي بالإيمان عن مواضع الريب والشك وتحرير العقول والأفكار من أواصر التقليد وقيود الجاهلية الدينية والعلمية . وكل ذلك قد شهد به المنصفون من فلاسفة الأمم وعلمائهم .

وليس الإسلام فوق ذلك بالدين الذي خفيت أصوله أو غمضت أغراضه على غير أهله من أتباع الديانات الأخرى ذات السكتب المنزلة فإن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم - كتاب الإسلام ومستمدته ومعينه - مخاطباً الأمة الاسلامية « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى . » ومعناه أن الاسلام ليس بالدين الجديد الغريب على الأمم المتدينة أو الدين الخاص الذي جاء ليدين به قوم مخصوصون أو أمة بعينها بل هو الدين الذي عاش عليه نوح والذين بعده من أبنائه . وهو الدين الذي قام بالدعوة إليه إبراهيم ووصى به أبناءه وهو بعينه دين موسى وعيسى لأن الإسلام إسلام القلب والشعور والأعمال والأحوال كلها لله وإفراده بالتوحيد والتنزيه والتبتل والتقرب إليه بأكمل أنواع العبادة وهو يحث أهله وغير أهله على استشعار الرحمة بالخليقة إنسانها وحيوانها

ويحض على معاونة الضعيف وتعلم العلم وتحرير العقل وإرشاد الجاهل والعمو
عن المسيء واحكام الاخاء وحسن الجوار وحب الخير لجميع الناس ومحاسنة
أهل الذمة من السكتايين ونشر مكارم الأخلاق وغرضه الأول الارتفاع
بالقلوب عن حمأة الشرك والنفاق ويعتبر قرآنه القانون الأدبي العام لسكل
دارج في سبيل التكمل والترقى الإنسانى من أفراد الخليقة وهو مبعث الفلسفة
العظمى والحكمة العليا المؤدية إلى النظر في حقائق الكائنات مما يؤدي حتما
بالباحث إلى عرفان الله وتنزيهه وتقديسه ، وهو الآخذ بناصية متبعيه إلى
أسمى درجات الشرف فى الدنيا وأعلى منازل الرفعة والسعادة فى الآخرة ،
وهو الناموس الأعلى الذى يحول بين متابعه وبين ظلمات الجهل ودركات
النقص والهوان .

وأما رسول الاسلام فهو عبد الله وزميل للمؤمنين يعيش فيهم كأحدهم
ثم هو بعد ذلك المثل السامى للرسول والأنبياء والأولياء والصالحين أرسله
الله سبحانه وتعالى من لدنه كافة للناس ورحمة للعالمين .

ويقول الله سبحانه وتعالى فى عجز الآية السابقة « أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » أمر من الله لمتبعي الاسلام الذين صدقوا الرسول وآمنوا
بجميع ما جاء فى القرآن بأن يقيموا الدين وما إقامة الدين إلا القيام بما فرضه
الله على الناس وشرعه من الحدود والأحكام بعد تحقيق الايمان وتصحيح
النية والعمل بقواعد الاسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان
والحج الح . وأن يحافظوا على وحدة المعتقد وتوحيد الكلمة واتباع الجماعة
والاعتماد فى الاستنباط على القرآن والاعتصام بالكتاب والسنة فيما اختلف
فيه من الأحكام . ويقول الله سبحانه وتعالى تأييداً لذلك « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ «

ومعنى ذلك هو الرجوع بأصول الدين وفروعه في كل زمان ومكان إلى كتاب الله وشريعة رسوله وعدم تحكيم الهوى أو التحيز والتشيع لفريق من المختلفين عند الاختلاف بل ان الله يأمر جميع المسلمين بتحكيم الكتاب والسنة فيما اختلف فيه من أحكام الدين لكي يكون الدين لله وحده مشمولاً كل ذلك بمتابعة رسوله في سائر أقواله وأفعاله وأحواله متابعة تامة . وفي هذا من توحيد كلمة المسلمين وإجماعهم على معتقد واحد وحكم واحد ما فيه وقد زاد الله على هذا تنبيها للمسلمين وإلزاماً لهم بأن يتمسكوا بتلك الخطة وأن لا يحيدوا قيد شعرة عن ذلك السنن بقوله « وَأَنَّ هَذَا سِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ «

والمستفاد من هذا البيان :

أولاً : أن الاسلام ليس ديناً خاصاً بل هو دين الفطرة الذي يخاطب القلوب مواجهة ويتوجه إلى الله مباشرة « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ «

ثانياً : أنه دين التوحيد والتنزيه حيث يوجب على معتنقيه أن يوحدوا الله بمعنى أنه واحد في ذاته وجميع أسمائه وصفاته فلا يرجى الخير ولا يطلب النفع إلا منه ولا يعيند من الشر والضر إلا هو ، إله واحد لا شريك له في ألوهيته ولا مثيل له ولا زميل « وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ «

ثالثا : أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يأمر أهله بإقرار جميع الديانات المنزلة السابقة له باعتبار أنها كلها إذا سلمت من التبديل والتحريف دروب من الاسلام وكذلك الايمان بجميع كتبها وصحفها معتقداً أن كتابه يحتوي خلاصة ما فيها ومصداق لما جاءت به من الحق ومكمل لها وذلك بدليل قول الله في القرآن الكريم « قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »

رابعا : أن الاسلام دين يأمر بالمساواة للخليفة ومحض على حرية البحث ويوسع المجال للعقل ويأمر بحرية الفكر « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » فقد جعل التفاضل بين أفراد الخليفة بالتقوى . ومعلوم أن التقوى هي كمال الانسان في أعماله وأحواله الباطنة والظاهرة ، ولا يبلغ الاسلام بأهله هذا المقام إلا بكسر قيود التقليد للظواهر وإطلاق حرية الفكر

خامسا : أن الاسلام يطالب أهله بتعلم العلم وتعليمه واعتبار أنه أسمى ما يرقى الإنسانية « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا - وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا - قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ - وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ - يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرَأُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ »

سادسا : الاسلام يعتبر أن الدين هو الكتاب والكتاب هو الدين وأن السنة ليست أكثر من تفسيره وتبويبه على حسب الأحوال والأزمان فكل حكم من الأحكام الاسلامية لا يرجع في أصله إلى القرآن ولا تؤيده السنة

المحمدية فهو مردود عند أهل الملة الاسلامية وذلك توحيدها لمعتقد المسلمين
وتوحيدها لمتنوع عباداتهم ومعاملاتهم «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»

سابعاً : الاسلام يأمر أهله بالتواضع والسماحة والمحبة والاصلاح في
الأرض قال الله سبحانه وتعالى « وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا »

ثامناً : الاسلام دين شامل يأمر متبعه بأن يمدد للآخرة يمينه ويتناول
الدنيا ببساره ويصوب إلى السماء قلبه مراقباً في الحالين لخالقه ومبدعه ، فهو
لا يفصل أسباب الدنيا عن أسباب الآخرة ولا يميز بين العلم بهذه ولا العلم
بتلك . ومعنى ذلك أن كل مسلم يجب أن يكون عالماً بدينه كما هو عالم بدنيائه ،
ولذلك يأمر الله المسلمين في كتابه بعد أن أقامهم جميعاً مقام الفرد المخاطب
بقوله « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ » وفي هذه الآية الفرده من كتاب الله دستور عظيم في أدب النفس
وفي الأخلاق والاجتماع وسياسة الدنيا وطلب الآخرة يا حنبذا لو اتبعه سائر
الأمم التي تعايشنا على هذا السيار الأرضي ولو فعلوا لسعد الناس جميعهم
واستقامت نظمهم وقل التناحر بينهم ولرفع عن العالم كابوس المجازر البشرية
التي يسمونها حروباً نظامية ،

تاسعاً : الاسلام دين لا يأمر أهله بالتجرد في التبتل ولا التقتشف المتزمت
أو الهرب من نضال المجتمع ومجاهدة النقائص العملية بدعوى الزهد والبعد
عن الناس للاختصاص بالعبادة ولا يحرم عليهم التمتع بالطيبات ولا يقول

بتحريم اتخاذ الزينة المعقولة بل الأمر بالعكس فانه يأمر باتخاذ الزينة للساجد
وتأمر السنة بالتطيب لها . وانظر إلى قول الله تعالى في القرآن « يَا بَنِي آدَمَ
خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ » وقوله « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ
لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » وقوله « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا »

عاشرا : أن الإسلام يأمر أهله بالبعد عن التعصب ضد غيرهم من أهل
ذمتهم أو جوارهم أو إخوانهم في الانسانية ، حتى ولو كانوا أعداء لهم
« ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ »
« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

وقد قال رسول الله (صلعم) يوماً لأصحابه « أتدرون من المسلم؟ قالوا
الله ورسوله أعلم . قال : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده : قالوا فمن
المؤمن؟ قال : المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . قالوا : فمن
المهاجر؟ قال . من هجر ما نهى الله عنه »

الإسلام برىء من التعصب

نشأ الإسلام والناس على أشد ما يكونون من ضروب الفوضى والتعسف
في الدين والأخلاق والسياسة وقد اختفى في ظلمات ذلك الجو القاتم منار
التوحيد وتوارى عن الوجود دين ابراهيم جاء ليدعو أهل العالم بأسره إلى
توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله وصرح بأنه دين التنزيه وأنه دين الله
من لدن آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين . وصرح بأن عباد الله كلهم

متساوون في أصل الخليقة لافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود
ولا فرق بين غني وفقير ولا تفاضل بين صعلوك وأمير ماداموا يعبدون إلهها
واحداً لا يشركون به شيئاً ويؤدون الحقوق فيما بينهم على شريطة العدل
والإحسان حيث يقول الله سبحانه وتعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ
ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ ». وتري أن الله سبحانه وتعالى قد صدر هذه الآية الكريمة بقوله
يا أيها الناس يريد بذلك النوع الانساني ولم يقل يا أيها المسلمون فقط وما ذلك
إلا لسكون الاسلام جاء بالهدى والنور للناس كافة وقد دلت الآية في عجزها
على أن أكرم عباد الله عنده هم الأتقياء الخيرون لا فرق بين أمة وأمة ولا تمييز
بين فريق من الناس وفريق لأن الإسلام جاء للجميع ورسوله أرسل إلى
العالمين كافة هاديا ومبشرا ونذيرا ومذكراً أهل الديانات السابقة بوجوب
العمل بما أرسل به رسالهم من البينات « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » وما لبثت الاسلام في محيط ظلام الوثنية إلا
فترة من الزمن حتى سطع صبح الحقيقة وظهرت سماحة الملة الاسلامية وغلب
التوحيد على الشرك وانبعث نور الايمان إلى القلوب وأفرد بالعبادة علام
الغيوب بعد شديد المناوأة للإسلام من المشركين ، فدخل الناس في الاسلام
لسماحته أفواجا من كل صوب وحدث ، فأمرهم بتوحيد الله لا يشركون به
شيئاً وتنزيهه عن الشبيه والمثيل والنظير وحشمهم على العدل والاحسان إلى الغير
والاصلاح بين الناس « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وفرض
عليهم تعلم العلم من المهد إلى اللحد وأمرهم بتعليمه للناس وإرشادهم غير مميزين
بين مسلم وغير مسلم ولا ذامين لدين من الأديان ولا مكذبين لرسول من

الرسول ولا مفرقين بين أبناء الانسانية بحال من الأحوال بل أراد أن يسبغ عليهم ثوبا من الأدب العالي ليكونوا مثال العدل والانصاف بين الأمم فخطبهم قائلا « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » فأعققت بذلك الهمم من أغلال الشهوات وافتتكت العزائم من الخمول وخلصت النفوس من أسر الاستعباد وأخذ كل من المسلمين يطلب من الحكالات الدنيوية والأخروية ما أهل له باستعداده الموهوب له وهكذا أشرف المعتقدون بعقيدة التوحيد والتنزيه من شرفات إيمانهم على أسرار الوجود وأخذوا يمزقون بالاسلام حجب الأوهام عن أعين القلوب والعقول ويتصلون مباشرة بمنابع العرفان والتثقف كالعالم النافع والنظر الصحيح والفكر المنظم والدين القويم معلنين أهل العالم بوجوب الطاعة لله وحده وتحرير رقاب المستضعفين من عبادة الرؤساء والزعماء الذين اغتصبوا احريتهم واستلبوا عقولهم وملكوا عليهم جميع أمرهم منادين بتحرير العقل من ربة أوهام الشرك بيد أنهم لا يكرهون أحدا على الدخول في دينهم هذا معتقدين أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ومتأدين بقوله في القرآن « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » ثم رأوا أن المخالفين لهم في دينهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : كفار ومشركون وذميون ، فالكافرون هم الذين كفروا بالله أو بما جاءت به الرسل من عنده ، والمشركون هم الذين أشركوا بالله غيره فعبدوا الأوثان والأصنام والنجوم والكواكب ، والذميون هم أهل ذمة المسلمين من أهل الكتاب (النصارى واليهود)

فأما الكافرون فضرب الرقاب حتى يفيثوا إلى أمر الله . وأما المشركون فالقتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . وما أهل الكتاب من

المسيحيين واليهود الذين لم يحاربوا المسلمين ولم يظاهروا عليهم فحمايتهم
ومحاسنتهم والوفاء لهم « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم
يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »
وقال رسول الله (صلعم) « المسلمون يسعي بذمتهم أدناهم ، ومن تأمل في الآية
الكريمة وجدها تنص صراحة على أن الله لم ينه المسلمين عن إسداء البر
لمخالفينهم في الدين ومعاملتهم بالاحسان والأصاف في سائر ظروف المعاملات
ويرى في الحديث الشريف ما يوجب على المسلمين الوفاء لأهل ذمتهم والمدافعة
عنهم والتزام ما يتعهد به أدنى مسلم لهم وذلك يؤمر به جميع المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها

فيتبين المتأمل في كل ذلك أن التسامح الديني في الإسلام يحمل المسلم على
احترام مخالفه في الدين ويحرم عليه ماله ودمه إلا بالحق وذلك ما يقتضيه
نظام الكون وغرض الخالق وتمام الحكمة في المجتمع وقد صرح الله في
كتابه بأن الناس لا يجتمعون على دين واحد وأن هذا الاختلاف مقصود
له سبحانه وتعالى لحكمة بالغة فقال « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ »

والذي يحمل المسلم على إسداء المعروف لمخالفه وإكرامهم والاحسان
إليهم والوفاء لهم هو التأدب بأداب الكتاب والتأسي بصفات الرسول واتباع
الخلفاء الراشدين وإجماع المسلمين على الاحسان والرحمة بجميع الداخلين في
حكمهم وذمتهم وقد علم المسلمون أن لاختلاف الأديان حكمة عالية هي
من متممات عمارة الكون ومكملات نظام الحياة فلا يحقد المسلم على مخالفه
في الدين ولا يتعصب عليه ولا يسعي في إيذائه لعليه أن ذلك الاختلاف من

إرادة ربه وترتيب شئونه في خلقه ألم تر أن من قواعد العقائد في الملة
الاسلامية الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء
خيره وشره وأن معنى الاسلام هو إسلام القلب والشعور والعواطف كلها
خالصة لله ، ومن وظيفة المسلم في هذا الوجود الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر بين جميع أهل العالم على السواء بصرف النظر عن أديانهم وملتهم
وقد أمر فوق هذا وذاك بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة
وأن لا يجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ولذا أوصى النبي (صلعم)
أُمَّته بأهل الذمة خيراً في مواضع كثيرة من كلامه ووصاياه وقد جاملهم بنفسه
(صلعم) فقد كان يكرم رهبان النصرانية وأحبار اليهودية ويجاملهم ويحاسبهم
ويصبر على أذاهم وقد آمنهم على أموالهم ودمائهم وصوامعهم ومعابدهم . وقد
قال رسول الله (صلعم) « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله »
وكان أحد اليهود من جيران النبي (صلعم) كثير الأذى للرسول حتى أنه كان
يضع الأقدار في طريقه إذا خرج إلى المسجد فرض ذلك اليهودي واقتده
النبي فسأل عنه فقيل إنه مريض فذهب (صلعم) لعيادته فلما رأى اليهودي
كرم أخلاقه (صلعم) وعطفه عليه وهو مخالف له في الدين قال له : تالله
إن من كان مثلك لا ينبغي أن يأتي إلا بحق وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت
رسول الله حقاً وصدقاً ويروى أيضاً أن يهودياً آخر أراد اختبار خلق النبي
(صلعم) فاشترى منه تمراً إلى أجل وأعطاه الثمن ثم جاء يطالبه بالتمر قبل
انقضاء الأجل بيومين فأخذ بمجامع ثوبه (صلعم) ونظر إليه بغضب
قائلاً : ألا تقضيني حقي يا محمد ؟ فوالله إنكم مطل يا بني عبد المطلب . وكان
عمر رضى الله عنه حاضراً فوج اليهودي واستل سيفه وأراد أن يهجم بقتله
فقال النبي (صلعم) لعمر بكل سكينه وهدوء : أنا وهو أحوج إلى غير هذا

منك يا عمر تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ماروعته فأسلم اليهودي عند ما رأى ذلك وحسن إسلامه .

وكم لرسول الله (صلعم) من لطيفة ومكرمة مثل هذه يضيق المقام عن إحصائها كيف لا وقد أدبه الله تعالى بقوله « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » وقال سبحانه وتعالى واصفاً لشريف سجاياه وكرم أخلاقه « وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ » وقال عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) وقال سبحانه وتعالى « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » وقال سبحانه وتعالى « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ الْخ »

ويروى أن يهوديا جاء إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو عليا مدعيا عليه ديناً له ولما أراد أمير المؤمنين أن يحكم بينهما رأى عليا كرم الله وجهه جالساً واليهودى واقفا فقال له : قم يا على فساو خصمك فقام على مبتسماً وشاكراً لعمر حيث نبهه إلى وجوب المساواة لدى التقاضى . ويروى عن ابن عمرو بن العاص فاتح مصر أنه كان يتسابق مع بعض القبط فسبقه القبطى فأخذته العزة فلطمه قائلاً : أنا ابن الأكرمين فبلغ الخبر عمر ارضى الله عنه فكتب لعمر و : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ثم استقدم الخصمين إلى المدينة وأوقفهما أمامه وأمر القبطى أن يضرب خصمه قائلاً : اضرب ابن الأكرمين

وبعد فكيف لا يكون الاسلام بريئاً من كل تعصب وبينما اليهود والنصارى يشتدون في إيذاء الرسول وأصحابه وإذا بالقرآن يقول « وَمِنْ »

قَوْمِ مُوسَى أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ، ويقول « وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ » الآية ويقول « إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ويقول في حق
النصارى خاصة « وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى
ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » ويقول أيضاً
تأديباً للمؤمنين « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »

هذا وقد كان المسلمون في كل عصورهم حياً في نشر العلم أو خدمة الإنسانية
وعملاً بمبدأ التسامح الديني الذي نص عليه كتابهم وأوصت به سنتهم
يحاسنون عباد الله والفضلاء من أهل كل دين ويكرمونهم بصرف النظر عن
مللهم ونحلهم وأنسابهم وقد كان فيهم النصراني واليهودي والصابئي والسامري
والمجوسي فكان الخلفاء يعاملونهم بالرفق والاكرام مما يصح أن يكون
مثالاً صالحاً للاعتدال والحرية والمساواة وقدوة حسنة لجميع أهل الأديان في
كل العصور والأزمان . ومن أمثال ذلك أنه وفد في عصر العباسيين كثير من
علماء النصارى واليهود والصابئة والبراهمة من الهنود وغيرهم على بغداد
واختلطوا بالمسلمين ودخلوا في خدمتهم لما أنسوه من العدل في دولتهم
وإطلاق حرية الأديان لرعاياهم والمساواة بين الناس حتى إنهم كثيراً ما كانوا
يوسطون أمراء المسلمين في فض الخلاف بين طوائفهم وأساقفتهم وملوكهم
ورعاياهم ويعد من هؤلاء العلماء جورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور

وابنه بختيشوع بن جور جيس الذي استقدمه الرشيد من جنديسابور ، ومنهم
حنين بن اسحاق العبادي وهو من نصارى الحيرة وابنه اسحاق بن حنين ،
ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي وهو من نصارى الشام ، ومنهم ماسرجويه وهو
يهودي الملة سرياني اللغة وابنه عيسى بن ماسرجويه وثابت بن قرّة الحرائي
وهو من الصابئة وكان في خدمة المعتضد العباسي وكان المعتضد يضعه في منزلة
فوق وزرائه وخاصته ، وابنه سنان وكان مقوما عند القاهر بالله والحجاج بن
مطر وكان من تراجمة المأمون وعبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي ،
واصطفان بن باسيل ، وموسى بن خالد ، وسرجيس بن بختيشوع وهو من
غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق وكان في أيام المنصور ويحي
ابن البطريق وكان في أيام الحسن بن سهل ، وأبو بشر متى بن يونس من
أهل دير قني ويحي بن عدى وغيرهم .

هذا قليل من كثير وإليك بعض ما جاء في رسالة النبي (صلعم) إلى رهبان
دير القديسة كاترينا فقد جاء في أول الرسالة :

« هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير وأمين الخلق أجمعين
لوديعة الله في خلقه كي لاتسكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزا
حكيمًا كتبه عهدا في ذمة من هم على دينه لأولئك القوم الذين هم على دين
النصرانية في مشارق الأرض ومغاربها بعيدهم وقريبهم مجهولهم ومعلومهم
هذا كتاب ماعهده إليهم فمن خالف ما فيه من العهد يكون مخالفا ومفسدا لعهد
الله وميثاقه ومستحقا لعنته إن يكن سلطانا أو كان غيره من المسلمين المؤمنين
فمتى كان راهب أو سائح مجتمعاً في جبل أو واد أو مغارة أو معمور أو سهل
أو كنيسة أو معبد فنحن من ورائهم وهم في ذمتنا وإني لأذب عنهم بنفسي
وأعواني وأنصاري هم وأموالهم ومعابدهم إذ أنهم من رعيتي وأهل ذمتي

فلا يسلب أحد سياحهم ولا يهدم بيتا من بيوت كنائسهم ولا يتلفه ولا يدخل
شيئا منه إلى بيوت المسلمين وكل من أخذ شيئا من ذلك فيكون قد أفسد عهد
الله وخالف رسوله . ولا يطرح خراج على قضاتهم ولا رهبانهم ولا من كان
مشتغلا بالعبادة منهم ولا شيء آخر غرامة كان أو خراجا أو مظلمة فإني
أحفظ ذمتهم في البر والبحر والمشرق والمغرب والشمال والجنوب أينما كانوا
وهم في ذمتي وميثاق أمانى من جميع ما يكرهون إلى أن قال : ولا يكلفهم أحد
بسفر أو يلزمهم بحرب أو نقل سلاح إنما المسلمون يحاربون عنهم ولا يجادلوهم
إلا على أحسن وجه اتباعا للآية « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي
أحسن » فيعيشوا مرحومين ويمنع عنهم ما يكدرهم أو يضيق عليهم أينما كانوا
وفي أى محل نزلوا وإذا تزوجت امرأة نصرانية بمسلم فلا يكون ذلك إلا برضاء
تلك المرأة ولا تمنع من الذهاب إلى كنيستها لأجل الصلاة . وتحترم كنائسهم
فلا يمنعون من تعميرها ولا من ترميم أديرتهم ولا يلزمون بشيء مما يجب
على المسلمين ، وإنما المسلمون يذنبون عنهم ولا أحد من الأمة يخالف هذا
العهد إلى يوم القيامة وانقضاء الدنيا هذا العهد الذى كتبه محمد بن عبد الله
إلى جميع ملة النصرارى واشترط جميع ذلك ليقى به ومعه أيضا الذين أثبتوا
أسماءهم وشهادتهم وقد أشهد الصحابة العظام عليه فى اخره وهم : على بن أبى
طالب ، أبو بكر بن أبى قحافة ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، أبو الدرداء
أبو هريرة ، عبد الله بن مسعود ، عباس بن عبد المطلب ، الفضل بن عباس
الزبير بن العوام ، طلحة بن عبد الله ، سعيد بن معاذ ، سعيد بن عباد ،
ثابت بن نفيس ، زيد بن ثابت ، أبو حنيفة بن عتبة ، هاشم بن عبيد ،
معظم بن قريش ، الحارث بن ثابت ، عبد العظيم بن حسن ، عبد الله بن
عمرو بن العاص ، عامر بن يامر .

وقد كتب هذا العهد بخطه في مسجد النبي (صلعم) على بن أبي طالب في
اليوم الثالث من المحرم والسنة الثانية من الهجرة
أو بعد هذا كله يقال ان المسلمين متعصبون؟ فياليتهم حققوا ما يأمرك به
الآفكون وتعصبوا ليقال بحق: قد تعصب المسلمون!

لا إله إلا الله

« إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ »
لا إله إلا الله كلمة خفيفة على اللسان محببة للقلب والوجدان عظيمة القدر
عند الرحمن نافية للشرك والشك عن القلب واللسان لأنها كلمة الاسلام وهي
كلمة الايمان وكلمة الاخلاص والاحسان وهي كما جاء في الاثر مفتاح
السموات والارض ، أما كونها مفتاح السموات فلائها تنزه قلب المعتقديها
عن أسباب الشرك وشوائب النقص ولؤم الطبع وطاعة الشيطان واتباع
الهوى ، وهي مفتاح الأرض لأن الاعتقاد بها من أقوى العوامل الاجتماعية
في تهذيب النفس الانسانية وتربية ملكاتها العليا وتحرير نظر الانسان العقلي
وضبط ميوله وغرائزه فهي تلهمه قوة الحكم الصحيح على الأشياء وتوجب
إليه العدل والانصاف ولو من نفسه في سائر معاملاته وتعوده الاعتدال
والقصد في جميع ميوله وآماله وتزوده بالحكمة وقوة الارادة وعلو الهمة في
كل أحواله ومحاولاته فتصور يارعاك الله قلب انسان انسابت فيه تلك الكلمة
انسياب النور على المرآة المصقولة التي تعكس صداها اللامع على كل شيء

يحيط بها .. وكذلك شأن كلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » في قلب المؤمن بها
تعكس من ألوان نورها المجدد للحياة الروحية على كل شيء حوله ، وهل
رأيت الزهر العاطر الذي يسكب عبيره على كل شيء يلامسه وكل شيء يستقبله
وكل شيء يشمله جوه ؟ فذلك ما تصنعه كلمة الاخلاص بقلوب الناس وذلك
حال يفقهه كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولا إله إلا الله عقيدة التوحيد والتنزيه لله في ملكه وملكوته ولذلك
هي أفضل ما نطق به لسان متكلم وأسمى وأنبى ما انطوى عليه قلب معتقد
وفيها يقول النبي (صلعم) (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وأنت ترى أن
هذا الحديث قد جمع جوهر الدين وأسمى مقاصده وبيان ذلك في خمسة أقسام
أولها : لا إله إلا الله وقد أفادت التوحيد في سائر ضروبه ونواحيه

ثانيها : وحده لا شريك له وقد دللتنا على كمال التنزيه في جميع
وجوهه ونواحيه .

ثالثها : له الملك فلا سلطان لغيره ولا مشيئة لسواه ولا تأثير لكانن في
فعله إلا بإذنه ولا معتمد في كل الأمور إلا عليه .

رابعها : وله الحمد فلا يجب الخضوع إلا لأمره ولا ينبغى السجود إلا لعظمته
ولا يقصد بالعبادة إلا وجهه ولا يقام الشكر والتحميد والتمجيد إلا لحضرتة
خامسها : وهو على كل شيء قدير وتلك تقتضى وجوب الاعتقاد بأن
ما قدره الله على عباده حاصل وما قضاه في خلقه نافذ وما شاء الله كان وما لم
يشأ لا يكون .

ولقد علمت أسعدك الله بالايان الكامل أن لشهادة أن لا إله إلا الله
حقوقا من ضيعها فقد فقد أثرها في نفسه وحرم ما ينبثق في باطنه من عبيرها

الطيب الذى يجمل النفس بمكارم الأخلاق وجيلى الصفات .
ومن هذه الحقوق أن تعتقد اعتقادا لا يخامرہ شك أن الأفعال والأقدار
جميعها كالإسعاد والإشقاء والغنى والفقير والحياة والموت والعز والذل وسائر
مايجرى فى الكائنات كلها كائن بمشيئة الله وتصريفه وتحت حكمه وسلطانه
وان لو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض على أن ينفعوك لا ينفعوك
الا بما أراد الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لا يضروك الا بما قدره
الله عليك فلا ترهب فى الحق متعاضما ولا تخشى فى أفعالك وأقوالك مادمت
ترضى الله متكبرا ولا عاتيا أو قاهرا لعلمك أن سائر الخلق عظيمهم وحقيرهم
قويهم وضعيفهم ان هم الا مظاهر منفعة لارادة الله الفاعلة وهيا كل مسخرة
بمشيئته وأن لا حول لأحد من قبل نفسه ولا قوة لمخلوق الا بربه ومنها معاملة
الخلق بالعدل وكرم الخلق وحسن السيرة وطيب السريرة فتعامل كبيرهم
بالعدل والانصاف وصغيرهم بالحلم والشفقة والاحسان وأن لا تندم على
ما فاتك ولا تفرح بما اتاك لأن ايمانك بأن لا اله الا الله يوجب عليك كل ذلك
ومن أوثق هذه الحقوق بعد تمكين العقيدة اقامة ما فرضه الله عليك
من صلاة وصيام وزكاة وصدقة وحج وما يتبع ذلك من صدق وورع وسماحة
ولين جانب وعزة نفس وتمسك بحق وتنزه عن باطل وعفو عن الناس
وتواضع للضعيف ورحمة به لعلمك أن المنفرد بالكبرياء والعز والسلطان
والجبروت ومن له حق الثواب والعقاب هو الله وحده ولا مشاركة فى ذلك
لأحد من خلقه ، كل هذا يوحى اليك ايمانك بأن لا اله الا الله ويوجب
عليك أيضا أن تعبده وتعبه وترحم عباده الذين لا فضل لك عليهم إلا بالتقوى
والتقوى هى فعل الطاعات وترك المحارم

ومنها اجتناب كل شبهة فى الدين أو فى المعاملة تؤدى إلى شرك أو معصية

وكذلك هجر كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأولاد والأموال وكل ما يبعثك على الحسد أو الغيبة لأن هذه كلها من كبائر المعاصي التي تنافي الطاعة الإسلامية ولا تتفق مع حقوق لا إله إلا الله ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتضامتك مع إخوانك المسلمين في جميع أطراف الأرض شرقها وغربها وشمالها وجنوبها لتحصل بذلك رابطة التوحيد وتم أخوة المؤمنين وهو معنى قول الله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

تلك الأمور التي إذا ضيعتها أمة فقد ضعفت شوكتها وانهدركنها وزال عزها وعاشت مستضعفة ذليلة وخادمة مستكينة لغيرها من الأمم التي اتحدت وتضامنت

ومن أولى بهذه الصفات الكريمة من أهل الإسلام والايان ؟ وإذا كان المسلمون يؤمنون حقيقة بالله وبما أنزل في كتابه على لسان رسوله (صلعم) من تشريع وأدب واعتصام بالله فإن كمال هذه العقيدة وعقدة نظامها شهادة أن محمداً عبد الله ورسوله وأنه اختاره واجتباها وأوحى إليه الرسالة التي صيرتنا خير أمة أخرجت للناس

ومن حقوق هذه الشهادة أيضاً : دراسة حياته (صلعم) وأطوار رسالته وحياته أصحابه والتأسي بهم والعمل بهديهم والسير على مقتضى سننهم ومنها دراسة القرآن الذي جاءنا به من عند الله دراسة اعتبار وتعلم واتباع والعمل بما فيه من القوانين والأحكام وتفهم ما يحتويه من النظريات الكونية التي تحض على النظر في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسنا وما يقتضيه ذلك النظر من الفنون والعلوم الطبيعية والرياضية والنفسية والاجتماعية

والاقتصادية والتحلى بأداب الاجتماع التي فاضت بها سور القرآن وأفعمت
بها آياته

الايمان في نظر أهل الاسلام

الإيمان هو مفتاح أسرار الكائنات ومصباح الهدى يضيء للسارى ما أظلم
من مفاوز الحياة وهو المعين الفياض الذي تستمد منه سائر الارادات القوية
سر قوتها لأنه الأصل الأصيل والدعامه المثلى لكريم الخلال كالصبر والعزيمة
والاقدام والثبات وهو أب الأمل وأخ الاقدام وقرين الرجاء ، وهو روح
القدس الذي يتنزل على قلوب الرسل والأنبياء وملهم الحكمة العالية لنفوس
الحكام والعظماء وهو نعمة الحب الالهى السحرية في فؤاد المحبين بل هو الحب
نفسه من جهة مثله الأعلى ومعناه الشريف الذي تفهمه النفوس العظيمة وتلهمه
الوجدانات المبصرة . وهو تلك القوة العلوية القاهرة التي ساقطت نوابغ القواد
إلى ميادين النصر فأسموها شجاعة ودعت من قمة مجدها أهل الوطنية إلى الصبر
والجهاد في سبيل الواجب فتأكدوا أنها التضحية وتنزلت إلى أفئدة المخترعين
والمكتشفين فقالوا إنها شرف العلم ، وظهرت لعشاق الأخلاق الكريمة
فآثروا العفة والفضل وتجلت بنورها السماوى الساحر لقلوب العظماء فأيقنوا
أنها العظمة وللصديقين والحكام فتحققوا بأنها الحقيقة

والايمان في أبسط معانيه هو الثقة بالنفس والمجد للأمة وروح القومية
للشعوب التي تعرف معنى الحياة الصحيحة والايمان في الانسان هو قوته المعنوية
وان رجلا بلا إيمان رجل ضائع والأمة التي لا يتمثل الايمان في قلوب أبنائها
أمة ضعيفة بل ميتة وناهيك بأمة فاقدة لحياتها المعنوية والايمان عمل قلبي
ليس للتظاهر ولا للرياء والتصنع فيه مجال فهو إذعان للحق وقبول له يصحبه
اعتقاد لا تزيله الشبه ولا تزعه الشكوك وإذا غرست شجرة الايمان في

قلب وسقيت بماء اليقين أثمرت الاخلاص ، والاخلاص هو القوة الهائلة
التي تفل الجحافل وتزيل الحواجز من وجه المؤمن الصادق المخلص لله ألم تر
إلى ذلك النفر القليل من أصحاب رسول الله (صلعم) حينما تشبعت بنور الايمان
الخالص قلوبهم وامتزجت ثمرته بنواياهم وسرائرهم قاموا بمقتضى ذلك لنصرة
رسول الله (صلعم) قومة صادقة زلزلت القلوب وثلت العروش وفلت الجيوش
المتداعية عليهم يومئذ تداعى الجراد المنتشر وهم قليلون فانتصروا بإذن الله
وما عاقبتهم عن النصر قلتهم إذ كانت مرتكزة على الايمان الخالص رابطتهم
وهو سبب قوتهم «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ
لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» ، الايمان لغز هو
مطلق التصديق ودليله ما قاله الله سبحانه وتعالى حكاية عن بنى يعقوب
«وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكِنَا يُوسُفَ عِنْدَ
مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ» أى وما أنت بمصدق
لنا . وشرعا هو التصديق بكل ما جاء به النبي من عند الله كالايمان بالله سبحانه
وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وهذا الايمان
ينمو ويزيد بالعمل ويضعف وينقص بالمعصية ودليله قول الله سبحانه وتعالى
(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ
فِي قُلُوبِكُمْ) وقوله عز وجل (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ
لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ)

والايمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان قال الله سبحانه
وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وقال رسول الله

(صلعم) (لا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان) وذلك لأن الناس يستوون
في التصديق ويتفاضلون بصالح الأعمال التي تزيد اليقين وتثبت وجود الإيمان
فمن شهد واعتقد وعمل فهو مخلص ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن
شهد واعتقد ولم يعمل فهو فاسق ومن لم يشهد ولم يعتقد ولم يعمل فهو كافر
والإيمان خمسة أقسام : إيمان مطبوع ، وإيمان معصوم ، وإيمان مقبول ،
وإيمان موقوف ، وإيمان مردود

فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة ، والإيمان المعصوم إيمان الرسل .
والمقبول إيمان المؤمنين الصادقين ، والإيمان الموقوف هو إيمان المنتدعين
والفاسقين وأما المردود فإيمان المنافقين « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ »

وللإيمان ثلاث مراتب : إيمان تحقيقي ومعناه أن ينطوى قلبك على
وحدانية الله تعالى وحادانية منزهة عن الشبيه والمثيل والشريك والمعين
وتصديق جميع ما يجب الإيمان به شرعا تصديقا شهوديا بحيث لو خالفك جميع
أهل العالم فيما انعقد عليه قلبك لا تجد في نفسك شكًا ولا ريبًا فيما اعتقدته
ولا أثر لمعنى من المعاني التي تنافي نور اليقين وذلك إنما يحصل عند ظهور
أنوار الربوبية على صفحات القلوب النقية

وإيمان استدلالى وهو أن تستدل بالمصنوع على الصانع وبالمخلوق على الخالق
وبالأثر على المؤثر استدلالا بصحيح البرهان الذى يورث خالص الإيمان .
وإيمان تقليدى وهو أن تعتقد بوحدانية الله وسائر ما جاء به رسوله
تقليدا لآبائك وعلماؤك ولو بغير حجة ولا برهان وهذا الإيمان وإن كان

قريب التزلزل سريع التزعزع بأقل تشكيك من مشكك ولكنه قد يكون مقبولاً بالنسبة للعوام الذين لا يقدرّون على أكثر منه . وهذا الايمان التقليدي يخشى عليه من السلب أو الرد والعياذ بالله إذا لم يحصن بالاستقامة والتقوى وقد جرى عند أهل ملة الاسلام مجرى الوجوب الحتمي ان المسلم المستشعر لنور الايمان بين جوانحه يجب أن يكون غيوراً على أحكام الاسلام عاملاً بها قائماً على تعليمها لغيره بقدر طاقته وعلمه أينما سار وحيثما ذهب وفي أى جماعة وأى بلد « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

والايمان نور مستبطن إذا سكن البواطن ظهرت نفحاته بمظهر الخشوع والطاعة على الجوارح والمسلم الذى لا خشوع ولا طاعة ولا خشية لله عنده مسلم ضعيف الايمان ودعى عاطل فى أهل الملة الاسلامية لأن الايمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان كما تقدم ومن أخص معانى الاسلام النية والعمل المصحوبان بايمان فهو قواعد عملية لا قولية مجردة بدليل قواعده الخمس الواجبة على كل مسلم ومسلمة .

الاسلام والعلم

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

إن الدين الإسلامى يتجلى لعقل من يدرسه درساً محكماً منزهاً عن الغايات أو العصبية كحقيقة مدعومة بالدليل الواضح أنه دين الفطرة ومهد الألفة الفكرية ورائد الحق وعدو الجهل وصديق العقل ومهد الطريق للعلم وخادم الإنسانية وهو المصدر الأعلى لقوانين الاجتماع وقواعد الأخلاق

ولا أدل على ذلك مما جاء في القرآن ذلك الكتاب العزيز الذي هو المرجع لقواعد الإسلام وأصوله والذي هو أول كتاب ديني تصدى لسرد معظم قواعد العلوم وأصولها فتكلم عنها واحدة فواحدة آونة تصريحاً وآونة أخرى تلميحاً وكان ذلك قبل أن تكتشف تلك النظريات بل وقبل أن يخلق العلماء المحدثون الذين تكلموا فيها وشرحوا أصولها ودونوا فروعها

نعم فإن القرآن قد تكلم إجمالاً عن الكائنات من الغاز إلى السديم إلى الأفلاك والكواكب والشهب والنيازك إلى الشمس ونظامها والأرض وانشقاقها عنها ، وتكلم عن الخلق وتكوين الجنين والتطور والترقي وأصل الأنواع والنبات والحيوان ومصير العالم ودورة الأرض حول نفسها وحول الشمس وتكلم عن أمهات الأخلاق وقواعد الاجتماع والشورى والحرية وغير ذلك من قواعد المعارف التي لا يحتمل المقام تفصيلها وإليك بعض الآيات الدالة على بيان ما قدمنا في القرآن :

يقول الله سبحانه وتعالى :

« وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ »

وفي هذه الآية ما يشير إلى البواخر والمدرعات والغواصات والطائرات ويقول:

« وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »
أى في المستقبل إشارة إلى السيارات والدراجات وما إلى ذلك ويقول
« وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ »

إشارة إلى الميكروبات وغيرها من الكائنات الخفية المسببة للأمراض

والعدوى وإليك آيات جامعة لقصة الخلق وابتداء التكوين إجمالاً من الأعلى إلى الأدنى ثم من الأدنى إلى الأعلى وذلك في قوله تعالى

« اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ . يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ . ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ »

ولنتأمل قليلاً في قوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة »

ونحن نجد العلم يقول : إن العالم عالمان : عالم المادة وعالم القوة ، فعالم المادة هو عالم الحس أو عالم الشهادة في لغة القرآن ، وعالم القوة هو عالم العليل والمهايا والنوات وهو عالم الغيب في نظر القرآن .

هذا هو أصل العلم الحديث وأساس جميع قواعده ، لأن سائر الموجودات في نظر العلم وكذلك في نظر القرآن هي قوة تفعل في المادة ، ومادة تكونها القوة . والشكل بأمر الله عالم الغيب والشهادة الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . والمراد بالأيام هنا الأدوار التي اجتازتها الطبيعة في تكويناها ثم في تطورها وترقيتها بدليل قول الله تعالى في نفس الآية تصريحاً لا مجازاً ولا تلميحاً

« فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ »

بل وقوله في موضع آخر من القرآن

« فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ »

ثم يلي مسألة القوة والمادة مسألة السديم والغاز ، وتكوين الكواكب
والأفلاك ، التي هي السماء في لغة القرآن .

وذلك في قوله تعالى

« ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ » وقوله : « يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
بِدُخَانٍ مُّبِينٍ »

ثم مسألة انشقاق الأرض عن الشمس وصيرورتها سيارا تابعا من توابعها
وهذا صرح به القرآن في قوله تعالى

« أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا »
وفي قوله السموات والأرض ، ولم يقل الشمس والأرض إشارة إلى أن
الشمس أيضا منشقة عن غيرها وهكذا .

وهذا دليل على أن العوالم قبل تفصيلها كانت كتلة واحدة كما يقول العلم
ثم تكلم عن بقية علم الفلك اجمالا في جملة آيات كقوله :

« تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا »
وقوله : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ »
« وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » . « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » . « هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ
مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ »

وفي قوله الشمس ضياء والقمر نورا ، إشارة إلى ما قرره العلم من أن
القمر يستمد نوره من ضوء الشمس .

وفي قوله وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، إشارة إلى علم

الميقات الذي هو فرع مهم من فروع علم الفلك تدور عليه مصالح الناس ومواقبتهم
وتكلم القرآن عن الحركة الدائمة شمـخوصا وهبوطا بين الأفلاك
والسكواكب والسيارات فقال

« وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » وقال « لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »

ثم تسلكم عن ذوات الأذنان والشهب والنيازك ، والرعد والبرق والصواعق
تصريحا وتلميحا في قوله

« وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ » « فَمَنْ
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا » « إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ
ثَاقِبٌ » « هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ .
وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ
بِهَا مَنْ يَشَاءُ »

وفي قوله تعالى : هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
الثقال إشارة الى أن السبب في الرعد والبرق الكهربية الناشئة عن
احتكاك السحاب .

ثم تكلم القرآن عن كيفية خلق الأرض من مبدأ كونها كتلة ملتصبة إلى
ظهور الحياة على سطحها فقال في كيفية بدء تسكوينها :

« أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ
بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ

أَوْ مَتَاعِ زَبْدٍ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ «

ومعلوم عند أهل العلم أن الأرض حين انفصالها من الشمس كانت كتلة
سديمية من السائل الملتهب دارت حول نفسها ثم أمطرت السماء عليها أدوارا
طويلة حتى تكونت بحارها ثم تكونت على مدى هذه الأدوار قشرة اليابس
منها . وذلك بواسطة التبخر والأمطار المتتابعين . وأراد الله أن يعلمنا الكيفية
التي بدأ بها تكوين الأرض فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا أي طافيا فوق الماء من أثر غليانه . ولما ذكر الله
هذا الزبد الذي لا يظهر إلا عند اشتداد غليان الماء ذكر الزبد الذي يقابله في
غليان المعادن وغيرها حيث قال وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو
متاع زبد مثله أي مثل الزبد الذي تكونت منه الكرة الأرضية والحاصل
من التفاعل بين النار والماء والذي تكونت منه الذرات والعناصر والمعادن
وفي قوله بقدرها أي بتقدير مقاس وموزون في نسبة بعضها إلى بعض .

وتؤخذ كيفية بدء تكوين الأرض أيضا من قول الله تعالى

« إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ .
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ »

ومعنى قوله وإذا البحار سجرت أي التهب واشتعلت من شدة
الحرارة والغليان . فان قيل ان هذا يوم القيامة يوم ينفى الله الدنيا . فنقول :
قال الله تعالى « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »
ويؤخذ من هذا أن البدء والنهاية على نمط واحد هو ما لا يحتاج إلى تأويل
وبعد أن جمدت قشرة الأرض وخبث حرارتها وصارت صالحة لظهور

الحياة فيها بدأ الله بخلق النبات والحيوان ومهدها لسكنى خليقته التي خلقت
فيما بعد ودلنا على ذلك بقوله

« وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ
أَرْسَاهَا » وقال « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ مُّوَزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ .
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » وقال
« وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي
مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ » وقال « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ »

ثم تكلم عن ظهور الحياة على الأرض ووصف الحيوانات الأولى من
اللافقارية ثم الفقارية والزاحفات والطيور وغيرها فقال

« وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّتًا لَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ »

وفي قوله تعالى في الآية المتقدمة والله خلق كل دابة من ماء ، اتفاق مع
العلم الذي يقول ان الحياة أول ما ظهرت في الماء ، ومن الماء انتشرت على
الأرض ثم إشارة إلى الأمية أو الخلية الأولى وذلك في قوله أيضا

« وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ »

ثم تكلم القرآن عن التسكوبين الجنين فقال

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »

ومعلوم أن الميسر سكوب حين نزول الآية لم يكن قد اخترع بعد ولم يكتب القرآن بذلك بل تكلم عن تطور الإنسان من بدء تكونه جنينا إلى أن يولد فيبلغ أشده فيكون رجلا ، فيكبر ويقوى ، ثم يشيخ ويضعف إلى أن يموت فقال

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا » وقال « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ »

ومن قول الله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين إلى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين . أفضل وأوضح تحليل علمي لمسألة نشوء الجنين وتطوره في الرحم . تلك المسألة التي تضاربت فيها آراء العلماء وكتبوا فيها العدد العديد من المجلدات وهي كما ترى في ترتيب القرآن تتفق تمام الاتفاق مع وصف العلم الحديث لها واليك ما قال العلم في ذلك :

ان الجنين يتكون في الرحم وينمو فيه حتى يتم تكونه . والرحم موضوع في التجويف الحوضي بين المثانة والمستقيم . شكله كثرى مسطح من الامام الى الخلف و طرفه العلوي عريض وهو القاع و طرفه السفلي ضيق وهو العنق ويتصل به المبيض برباط خاص يقال له الرباط الرحمي المبيضي الذي يتصل بكيس فيه حويصلات عديدة يقال لها حويصلات (غراف) والحويصلة قبل العلوق عبارة عن غلاف غشائي مشغول بسائل زلالى تسبح فيه حويصلة صغيرة اسمها الحويصلة الجرثومية مؤلفة من غشاء شفاف يتضمن سائلا صافيا وفيه البقعة الجرثومية . ومن هذه البقعة الجرثومية تبدأ حياة الجنين . والحويصلة أو البويضة لا تخرج من المبيض الا في زمن الحيض وتنتقل الى الرحم بواسطة بوق (فلوبيوس) وفيه تتلقح . فاذا حصل العلوق استقرت البويضة في الغشاء المخاطي المبطن للرحم وهناك يبدأ تكون الجنين . ولا ينزل الدم حينئذ لانه يتحول إلى غذاء له . وأول تغيير يحصل في التكوين الجنيني ان البقعة الجرثومية تستطيل ثم تصير كثرية الشكل ويظهر في مركزها بقعة تسمى البقعة الصافية يبدو فيها ميزاب قليل الغور يقال له الميزاب الاصلى وهو أول ما يظهر من الجنين ، وهذا الذى عبر عنه القرآن بالعلقة ، لأن البويضة في هذه الحالة تتمدد وتنقسم إلى خلايا حتى تصير كالعلقة فاذا تمت هذه العلقه أخذت تتنوع خلاياها وتتميز اجزاؤها حتى تصير في آخر الشهر الأول مثل بيضة الحمامة فتصير مضغعة لحمية لأنها تكون بقدر ما يمضغ في الفم ، ويكون بعضها مخلقا وبعضها غير مخلق ، كما وصف الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن تماما حيث يقول

« فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ »

وفي قوله إنا خلقناكم من تراب في أول الترتيب إشارة إلى الخلق الأول
أو إلى كون النطفة التي هي سبب التلقيح من الغذاء الذي أصله من تراب
ثم يأخذ الجنين في التكون بعد ذلك حتى تصير جميع أعضائه متميزة
ظاهرة ويكون جلده رقيقا شفافا وتبدو أظافره على هيئة صفائح رقيقة .
وبعد ذلك يتضاعف وزنه ويبدو شعره ويتكون فيه وأنفه حتى الشهر الخامس
فيأخذ في الحركة ، وفي الشهر السادس تتميز فيه الأدمة والبشرة وتكون
عيناه مقفلتين وتجمد أظافره وتكون خصيته في تجويف بطنه أو تظهر فيه
أعضاء الانوثة ان كان انثى . وفي الشهر السابع يتم خلقه وتبدو عظام جمجمته
وكل أعضائه تكتسب صلابة ونموا ويتم شعره ويفتح عينيه إلى أن يصير في
الشهر التاسع فيتكامل نموه ويخرج إلى عالم الوجود
وذلك معنى قول الله تعالى

« ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا
فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ »

أى إنسانا سويا كاملا في أحسن تكوين ذاعقل وإدراك وتمييز وسمع وبصر
« فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »

وقد علمنا مما تقدم في وصف العلم لتكوين الجنين ، أن الإنسان مخلوق من
البويضة الملقحة بنطفة الرجل وبالسائل السابحة فيه بويضات المرأة المنفصلة
من حويصلات (غراف) ومن البوق ، وهذا أيضا يسمى نطفة . والنطفة
كل ماء قل أو كثير وهذا معنى قول الله تعالى

« إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ »

والأمشاج الخليط . والمراد به اختلاط النطفتين

وانظر إلى قول الله تعالى « الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ »
كيف اتفق مع العلم القائل بأن سبب الحمل وجود حيوانات في ماء الرجل

تسمى حيوانات التلقيح ، لو نظرنا فيها بالميكروسكوب لرأيناها أشكالا متنوعة وكلها في شكلها مثل العلق . وهذا غير قوله ثم من نطفة ثم من علقه كما لا يخفى .

ثم انظر إلى قوله تعالى

« يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ »

واعلم أن المراد بالظلمات الثلاث

(١) ظلمة المبيض الذي تتكون فيه البويضة داخل حويصلة غراف

(٢) وظلمة البوق حيث تلتقي البويضة بالحيوانات المنوية

(٣) وظلمة الرحم الذي يتم فيه تخليق الجنين .

ثم أراد الله أن يعرفنا أن عملية التلقيح وعملية تكوين الجنين هي في سائر الحيوان والنبات كما في الانسان تقريرا ، فبين ذلك بقوله

« سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ

وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ »

وفي قوله تعالى (ومما لا يعلمون) إشارة إلى خلق الميكروبات وتكاثرها لأنها تتكون بطريقة لا ترى وهي تتوالد وتتناسل وتتكاثر أيضا وكذلك بقوله « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ »

سواء في الانسان والدواب والنبات (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أي لعليكم

تتفكرون وتعتبرون

ثم أفرد النباتات بالذكر ليعلمنا وجود ذكر وأنثى في كل زهرة ونورة

من زهورها ونورها لإثمارها فقال

« وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ » « وَأَنْبَتَتْ مِنْ

كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ » « وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى »

وعلمنا أن أعضاء التذكير في النبات تلتحق أعضاء التأنيث بواسطة الرياح من قول الله تعالى (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ) كما أثبتته العلم .

وقرر العلم أن العناصر الداخلة في تركيب النبات كلها واحدة وإنما تفتاوت أنواعه بنسبة تفتاوت تركيب بعض هذه العناصر عن بعض في خلايا تلك الأنواع وقد سبق القرآن العلم في ذلك فقال

« وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ » وقال « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ »

وفي مجمرع الآيتين إشارة أيضا إلى الثقل النوعي للجسام

وقد علمنا العلم أن كل عنصر لا يأتلف مع غيره كيميائيا إلا على نسبة مقدرة بمقدار محدود ويسمى ذلك قانون النسبية الجوهرية أو الحكم الذري ويقول القرآن في ذلك :

« وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ »
والغيب هنا ما غاب عن الحس كالعالم الطاقى الذرى والشهادة ما بدا للنظر من الجزئيات والأجزاء للجواهر المادية .

ويقول العلم بتطور الأحياء عموما ويقول القرآن

« مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا » وقال « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »

وفيه إشارة إلى الانتخاب والتطور .

وتكلم القرآن عن التنازع الحاصل بين الناس في الحياة فقال :

« وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ » وقال « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ »

وعلمنا القرآن أن الأرض معلقة في الفضاء بقدره الله تعالى فقال

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ »

وتكلم القرآن عن قانون الجاذبية فقال

« وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » وقال « إِنَّ اللَّهَ

يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا »

وتكلم عن عدم تناهى الفضاء فقال

« وَالسَّمَاءَ بَدِينَهَا بِيَدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ »

وتكلم عن تفرطح الأرض من جهة قطبيها فقال

« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا »

وتكلم عن قسمي اليابسة الجغرافيين فقال

« رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ »

لأن المشرق في أمريكا مغرب لنا والمشرق عندنا مغرب عندهم

وتكلم عن ميدان الأرض وتحركها لغليان باطنها ورقة قشرتها في بداية

تسكويها فقال

« وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ »

والرواسي الجبال

وتكلم عن الزلازل والبراكين فقال

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » « انطَلِقُوا

إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ . لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ . إِنَّهَا تَرْمِي

بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ »

وتكلم عن الفحم الحجري وعلمنا أن أصله نبات طمر في الأرض حتى

تحوّل فقال

« وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى . فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى »
أى شديد السواد

وتكلم عن دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس فقال
« وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ »
وتكلم عن حمل السحاب للماء المتبخر من الأرض ونزوله ثانيا في
شكل مطر فقال :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزُجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ »

وتكلم عن وجود الجراثيم أى الميكروبات فقال
« فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مَرِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » « تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ »
والسجّيل هو طين المستنقعات الذى جف
وتكلم عن الطيران وبين لنا إمكان سفر الانسان بطريق الجو فقال
« فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ » « وَلِسَلِيمَانَ
الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ »
أى يقطع ما مسافته شهر فى نصف يوم لأن الغدو من الصبح إلى الظهر
والرواح من الظهر إلى المساء .

بل أنزل الله سبحانه وتعالى من الآيات أوضح من ذلك فى مسألة الطيران
وذلك قوله « وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا
لَهُمْ مِنْ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ »

وفي هذه الآية تكلم عن البواخر وما يتبعها من نسافات وغواصات في قوله
« الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ »

ومعنى الفلك المشحون الممتليء بما يسيره ويدفعه من بخار وغيره . وليس
المراد بالمشحون الحمولة لا متناع ذلك بقوله (وَحَمَلْنَا) كما لا يخفى .
وأما عن الطيران فقوله :

« وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ »

لأن الطائرة فلك هوأى يسير في الهواء كما تسير الباخرة في الماء حتى ان
الطيارة أصبحت سفينة هوائية ومائة معا بمعنى أنها تسير في الماء كما تسير في الهواء
وفي قوله تعالى :

« وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » من آية « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

تنبيهه على ذلك وإشارة الى كل ما استجد بعد نزول القرآن من وسائل
النقل الميكانيكية كالقاطرة الحديدية والسيارة وغيرها

لأنه وإن كانت كل وسائل النقل في الزمن الذى أنزل فيه القرآن كلها
وسائل حيوانية كالجمال والخيول والحمر والبغال . إلا أن الله سبحانه وتعالى
حينما سرد للعرب ذلك تعريفاً بنعمه عليهم خاطبهم في نفس الآية قائلاً :

« وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » في المستقبل من وسائل أخرى للنقل لم
تستعدوا بعد للعلم بها حتى ولا لكيفية استعمالها .

وتكلم القرآن عن صعوبة التنفس في طبقات الجو العليا عند قوله تعالى

« فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ
يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ »

والمراد في قوله حرجا كأنما يصعد في السماء .

وتكلم القرآن عن التصوير الشمسى في قوله

« أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاءَ كِنًا لِّمَنْ جَعَلْنَا

الشمسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا »

وكل من له إلمام بفن التصوير يعلم أن التصوير الشمسى هو قبض الانعكاس

الظلى للضوء المنبعث من المرئى على عدسة الآلة المصورة .

وقد تكلم القرآن عن الكهر باء ضوءا وحرارة في قول الله تعالى

« اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ

زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ

عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ »

ففي قوله المصباح في زجاجة كأنها كوكب درى إشارة إلى الضوء وقوله يكاد

زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار إشارة إلى الحرارة الذاتية بغير إشعال والمراد

بالزيتونة التي هي لاشرقية ولا غربية تمثيل السيل الذى يسبب الحرارة والضوء

ومثل بالزيتون لأن الناس كثيرا ما كانوا يستصبحون بزيتته قبل أن يكتشف

زيت البترول وغاز الفحم والكهرباء . ولكي يلحظ قارىء القرآن الفرق

الهائل بين المشبه والمشبه به جعل الزيتونة لاشرقية ولا غربية دلالة على أن

المشبه شيء أدق وأعمق من كل ما نرى بأبصارنا على سطح الأرض شرقا وغربا

ولا غرابة في تمثيل السيل المتفرعة عنه جميع القوى الكهربية بشجرة إذ

مثل الله سبحانه وتعالى في غير هذه الآية عالم أمره وقوته العليا الذى تتفرع

عنه وتنتهى إليه جميع نوااميس العالم وقواه وأنظمتهم وعوالمهم وأفلاكه ومخلوقاته

بالسدره وهى شجرة ، وذلك فى قوله تعالى

« عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى »

أى ما يغشى من الأوامر الإلهية والتقدير السكونية إجمادا وافناء واثباتا
ومحورا . والمراد بسدره المنتهى شجرة النهاية ، نهاية الأسباب والمسببات وهى

شجرة على سبيل المجاز لاعلى سبيل الحقيقة كما لا يخفى هذا ولنرجع إلى ما نحن
بصدده من آية السكر باء فنقول . ومعنى قول الله تعالى : نور على نور أى نور

القوة الباطنية للسيال على نور العلم الذى هيا الجهاز الظاهر وبتعبير أعلى :
نور قدرة منور السموات والأرض على نور العقل الذى منحه الانسان واقتدر

به على استخدام القوة العامة وتوجيهها ثم تسخيرها لمنافعه واستخدام ما ينفعه
من خواصها الطبيعية ولذلك قال سبحانه وتعالى فى عجز الآية يهدى الله لنوره

أى لسهه فى ابداعه وحكمته فى صنعه من يشاء من عباده الذين تقربوا إليه بالفكر
أو بالعلم أو بالعبادة ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم أى محيط

علماً بكل ما يصنع مما هو ظاهر أو خفى ، ويكون المراد بعموم الآية من النور
إلى المصباح والزجاجة إلى الزيتونة التمثيل أى ضرب الأمثال فقد عرفنا الله

سبحانه وتعالى بأنه هو منور السموات والأرض بقوله : الله نور السموات
والأرض واتخذ لذلك نور السكر باء مثلاً فشبه ذلك بالمصباح والزجاجة التى

كأنها كوكب درى يكاد يضىء ولو لم تمسه نار ، ومثل السيل الذى يمد هذا
الضوء بالشجرة كما تقدم ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم .

وفى قوله تعالى

« اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا » وفى قوله « وَيُمْسِكُ

السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ »

إشارة إلى المغنطيسية العامة كما أن فيه إشارة إلى جاذبية التماسك كما تقدم .

وتكلم القرآن عن خلود الحياة وأنها لا تنفى بفناء الجسد وأن للأحياء
العليا عالما وراء هذا العالم تعيش فيه بكامل معاني الحياة وذلك في مثل قوله تعالى
« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »

ومفهوم أن الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يخرجوا من الدنيا بعد
وتكلم عن استحضار الأرواح وبين أن منها الخيرة ومنها الشريرة وأن
للأرواح الخيرة القدرة على نقل الأشياء من الأماكن البعيدة إلى حيث تريد
أو يريد مستحضرها الذى أمرها وذلك في مثل قول الله تعالى حكاية عن
سليمان ووزيره آصف بن برخيا والروح الشرير الذى أسماه عفريتاً من الجن
« يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ
عَفْرَيْتٌ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ
إِلَيْكَ ظَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ »

فالطالب سليمان والعرش عرش بلقيس والعفريت الذى قال أنا آتيك
به قبل أن تقوم من مقامك روح شرير والذى عنده علم من الكتاب آصف
ابن برخيا وزيره الذى كان عالماً باستحضار الأرواح . ولرسوخه وقدرته
على ذلك قال له أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رأى سليمان
العرش مستقراً أمامه شكر الله على فضله وقدرته وقال هذا من فضل ربي
ثم أشار القرآن إلى علم التنويم المغنطيسى وذلك في قوله تعالى حكاية عن
أهل الكهف

« إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ » وفي قوله « ثُمَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ » وفي قوله « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالِ بَلْ لَبِثْتُمْ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

والشاهد في إلقاء النوم على أهل الكهف وعلى المجاهدين في سبيل الله

وعلى عزير الذي قال

« أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ » إلخ وفي قوله « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ »

نص صريح على التنويم وفي قوله (أَمْنَةً نُّعَاسًا) كذلك .

وتكلم القرآن في علم النفس « الشيولوجيا » إجمالاً فجمع سائر قواعده وأصوله في ألفاظ قليلة وذلك عند قول الله تعالى

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا »

والتزكية هي التسامى ، من زكى النار والتدسية هي التدنى والتنقص من

دسى النار أخفها وأخمدها

وتكلم عن أساس الشرائع والديانات كلها في آية واحدة وهي قوله تعالى

« فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى .
وَمَنۡ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَاِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنْكًا »

وصرح بأن كل انسان مجزى بأعماله محاسب على سائر هفواته بشهادة

ضميره وذلك في قوله تعالى

« فَمَنۡ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَنۡ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ »
وفي قوله « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ » وقوله « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَّرْنَاكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ »

وقد جمع القرآن سائر علوم الاجتماع في آية واحدة وإن كانت أكثر
آياته آيات اجتماعية ولكن هذه الآية في هذا الباب تعتبر آية فريدة جامعة
لكل ما يحتاج الاجتماع إليه من الضوابط الأدبية وهي قول الله تعالى

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ »

وعلم القرآن المسلمين مبدأ الجمهورية ووضع لهم قواعد الشورى في
قوله تعالى خطابا للنبي (صلعم) « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ »
وفي وصفه للمؤمنين الأولين بقوله
« وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ »

ووضع مبدأ المساواة بين الناس وان لا فضل لأحد على غيره إلا بزيادة
الإنسانية وهي معنى التقوى وذلك في قوله تعالى

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَاثِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ »

لا أقوامكم ولا اعلمكم ولا أغناكم ولا أعتاكم . ودعم مبدأ الاخاء بين

الناس فقال

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »

وأمرهم بتحقيق العدالة ومكارم الأخلاق بمثل قوله

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

وعلم القرآن أهل الإسلام فوائد التاريخ وحشهم على إستيعابه وتفهمه

والاستفادة منه وذلك بمثل قوله تعالى خطاباً للنبي (صلعم)

« وَكَأَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ

الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ » وقوله « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ »

وأمرهم بالنظر في الكائنات عموماً في مثل قوله تعالى

« قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ »

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ

الْآخِرَةَ » وقوله « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ »

وتكلم عن فناء العالم عموماً وتحوله إلى حياة أخرى فقال

« وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا » « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ »

« يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً » « يَوْمَ نَمُورُ

السَّمَاءِ مَوْرًا . وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا » « يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ

الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ « يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ »

هذا وليعلم الناس قاطبة أن الإسلام دين العلم وروح المدنية وهو الدعامة الحية والعامل القوي الذي يأخذ بيد الإنسانية إلى التقدم والرقى وكلما ارتقت الإنسانية في معارفها وفنونها وأشرفت على معاني إنسانيتها وروحيتها كشف لأهل العالم عن حقيقة الإسلام ومقاصده النبيلة

« وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ »

بين العلم والدين

تكلمنا عما يحويه القرآن من قواعد العلم الحديث أصولاً وفروعاً. والآن نتكلم عن الاتفاق الحاصل بين الدين الإسلامي والعلم دخضاً لمفتريات القائلين بأن الدين عموماً لا يتفق والعلم وذلك قياساً على ديانات قديمة عرفوها فعمموا القاعدة وابتدعوا على العلم فرى لا يقول بها وعلى الدين في عمومها أباطيل هو برىء منها. وما العلم في الحقيقة إلا ناحية تأملية ترى للناسر المدقق كأنها ناحية من نواحي الدين ممهدة له وباعثة عليه حينما يضطر العالم عقله لاستطلاع ما وراء دائرة تجاربه العلمية التطبيقية من آفاق عليية للحصول على اليقين العلمي أو الألفة العقلية التي تربط بين الأسباب ومسبباتها. فالدين وهو المعتقد في أية صيغة وعلى أي لون كان هو النتيجة الغائية لسائر قضايا العلم الصحيح والفلسفة المنتجة لأن الدين من أخص معانيه اللغوية كل ما يقن به الإنسان ودان له فأصبح عقيدة ذاتية والدين الإسلامي على الخصوص صديق العلم ونصير الفلسفة إذا كان المقصود بالفلسفة النظر في الكائنات والتعرف إلى علتها وذلك ظاهر في قول الله تعالى

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ »

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وفي قوله « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » وفي قوله « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ »

وكلمة الفلاسفة في أصلها اليوناني تقابل كلمة الحكمة في مفهومها العربي
وما كان للعلم الصحيح أن يعادى الدين أو ينكره أو يحكم له بالوجودية أو
العدمية مذ كان الدين ليس من موضوع بحث العلم ولا هو داخل ضمن
دائرة نظرياته وما كان للعلم أن يخرج عن وظيفته وهي الاستقرار والملاحظة
للظواهر الطبيعية الى حدالنفى أو الاثبات لما يحمله من الحقائق اللاهوتية المختبئة
وراء المظاهر وهي من موضوعات بحث الدين بل وأخص وظائفه ومفهوم
أن البحث عن المهاييا أو الأكناه ليس من موضوع العلم ولكن الأمر الذي
لاشك فيه أن يكون العلم بداية والدين نهاية

يقول العلامة (أندريه كريسون) مدرس الفلسفة في جامعة ليون
« العلم لا يعطينا عن الوجود في مجموعه إلا معارف مبهمه للغاية
ويقول الأستاذ (وايم جيمس) « إن علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا
بحر زاخر والأمر الوحيد الذي يمكن أن يقال بشيء من التأكيد هو أن عالم
معارفنا الطبيعية الحالية محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر لم يدركه العلم
خواصه المكونة له إلى اليوم ،

وقال (بيكون) كلمته المشهورة « إن القليل من العلم يؤدي إلى الإلحاد
ولكن التبخر فيه يعيد الملحد إلى التدين ،

وقال (كونت) « إن العلم لا يؤدي إلى القول بالمادية والاحاد لأنه
لا ينكر النفس ولا الله ولكن يجملهما ، والأصل في العلم هو العقل ورائده
الحس ، والأصل في الدين هو الوحي ورائده العقل ، ولا خلاف ولا مباينة

في نظر العالم المحقق والمتدين المخلص بين الوحي والعقل فالدين يؤكد أن
الوحي قد جاء مخاطبا للعقل ويوجب تأويل نصوص الوحي إذا تعارضت
مع العقل حتى تطابقه . والعقل يشهد بأن العلم يقصر محيطه عن إدراك سائر
الحقائق الغيبية التي جاء بها الوحي ، ثم ان العلم يأمر أهله بأن لا يعادوا ما يجملون
من الحقائق التي ربما تكشف لهم في المستقبل فيؤمنون بوجودها وذلك هو
الشأن أيضا في عالم الفلسفة وهو عالم المعقولات بل هي بذلك أولى وبه أجدر
فلا يقال بعد اليوم ان بين الدين والعلم عداوة توجب المنازعة أو إن العلم
ينكر وجود الدين أو ان الدين مناقضا للعقل ولا يقال مثل هذا
أيضا عن الفلسفة التي تدعى أن البحث عن الحقائق من أهم شعائرها ومن
أسمى مطالبها

وبما أن الوحي يخاطب جميع الناس على اختلاف درجات عقولهم ومداركهم
خاصتهم وعامتهم بلسان واحد فإن أسلوبه يحتم عليه مداولة خطابه بين
الحقيقة والمجاز والإبانة والتشبيه ، وأما العلم فإنه يخاطب أذكى الناس وكبار
العقول فقط فلا يحتاج في خطابه إلا لتبيين الأشياء على ما هي عليه واضحة
دون تورية أو تلميح فإن كان ثمة خلاف بين العلم والدين فهو خلاف في
الأسلوب وفي الأسلوب فقط والقائل بالخلاف بين الدين والعلم يكون قد
اصطدم بمجازيات الدين حينما يروم تطبيقها على بدائه العلم وحينئذ يقع
الخلاف الوهمي الذي لا يكون إلا في رأسه هو وفي رأسه فقط لعدم يقظته
لوجود الفرق الحاصل بين أسلوب الدين وأسلوب العلم وتسكون النتيجة أن
الخلاف ليس بين الدين والعلم وإنما هو بين أسلوب وأسلوب . فالدين والعلم
لا يتناقضان وإن كانا متغايرين والتحقيق أن لا خلاف بين الوحي في مصدره
والعلم في أوليات قضاياها لأن الوحي حقائق ذاتية ألقيت في روع واحد من

البشر امتاز عن غيره بسمو مداركه ورقة إحساسه وباستعداد خاص جعل قلبه متصلا بالملا الأعلى لتلقى وحى ربه المنزل لإرشاد خلقه

وقضايا العلم ونظرياته حقائق هي الأخرى ألفت بعد الاستقراء والاستنتاج والتجربة في روع أناس أدمنوا التفكير والاختبار والتمعن في وحدات الكائنات ونواميسها وصلة بعضها ببعض الآخر والبحث في خواص الأشياء ومنافعها وتسخير قواها الكامنة فيها وقد استنتجوا من كل ذلك قواعد ونظريات علمية تزيد كل يوم بما تنتجه عقول خلفائهم وأعقابهم .
والوحى في اصطلاح اللغة هو الاعلام من الخفاء فتقول أوحيت إلى فلان كذا أى كلمته بما تخفيه

والوحى في اصطلاح الدين هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه بواسطة روح سماوى يسمى جبريل وهو أحد الملائكة المقربين . وهذا الملك قد يتمثل لهم بشرا سويا فيبلغهم كلمات ربهم بأن ينفثها في روعهم أو يسمعها آذانهم . والعلم جملة معلومات وقواعد ونظريات تركزت وطبقت فأصبحت فروعا وفنونا شتى يجمعها فى عمومها اسم العلم .

ولو بحثنا فى أول قضايا العلم ومبعث نظرياته من قبل أن تؤلف الكتب وتدون المعارف لوجدنا أنها جميعا حقائق أولية أهمها لفيف من مفكرى النوع الانسانى فأدمنوا التفكير فيها حتى قعدوها قواعد جلية وألفوا فيها الكتب ووضعوا أساليب العلوم وبنوا على هذا الأساس أصول المعارف

وأنت ترى أن مبعث العلم والدين شىء واحد هو الشخصية المعنوية للانسان وما وفر فى صدره من وحى إلهى أو إدراك عقلى وبعبارة طريق الوحى (الدين) أو طريق العقل (الفلسفة والعلم) فالدين فى أصله موهوب بالوحى

(م ٤ حكمة الاسلام)

والعلم في وضعه مكسوب بالعقل بمعنى أنه إذا كان الوحي أصلا في الدين
فالعقل أو الإلهام البدائي هو الأصل الأولي للعلم وتكون النتيجة لاثمة من
فرق إلا في الأسلوب بين دين موحى به يخاطب العقل أو معلوم ملهم يكون
نتيجة لاستقراء العقل وخبراته للكائنات الخارجية المنبثقة حوله ويكون الكل
من عند الله بغض النظر عن الفرق في الدرجة بين الوحي والإدراك العقلي
أو بين العلم والدين .

وليس في العقيدة بالوحي ما ينافي العلم خصوصا في هذا العصر الذي
كثرت فيه المباحث النفسية في أنحاء العالم شرقا وغربا . وقد أثبتت العلوم
النفسية الحديثة أن في الوجود كائنات حية غير الإنسان مجردة عن المادة لها
عقل أرقى من عقلنا ومدارك أسمى من مداركنا وأن هذه الأرواح قد تتصل
بنا إما بأن تتجسد فتظهر لأعيننا فتكلمنا وتصاحفنا أو تستولى على أيدي بعض
الحاضرين وألسنتهم فتكلمنا وتكتب لنا بهذه الوساطة ما تريد أن تقوله
وإما أن تنفث ما تريد من القول في روع أحد الوسطاء فيتم لها ما تريد . وقد
قرر فريق من العلماء أن هذه القوى الخفية هي أرواح الموتى وحكم فريق آخر
بأنها كائنات مجردة عن المادة موجودة في الكون لا تدركها حواسنا قادرة
على التجسد ومخاطبة الناس في بعض الأحوال وهي ما اصطاحت لغة الدين
على تسمية فريق منها بالملائكة وفريق آخر بالجن أو الشياطين

وكيف ينكر عاقل هذه الحقائق في عصرنا وقد قررها ألوف بل ملايين
من العلماء المعاصرين في إنجلترا وأمريكا وألمانيا وفرنسا وغيرها حتى عمت
الشرق والغرب جميعاً وبعده أن أدمج علم النفس وعلم التنويم واستحضار
الأرواح في دائرة العلم الرسمي

وليست مسألة الوحي بزائدة في الغرابة عما نقرأه كل يوم في كبريات

الصحف الأوربية من جلسات استحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى
وقراءة الأفكار التى تتم على أيدي كبار العلماء بمراى ومسمع من فحول
المجربين من سدنة هياكل العلم الطبيعى وإن كان الوحي أسمى من كل هذه
الوسائل الروحية .

والدين الذى يأتى به الوحي ينقسم بطبيعة أسلوبه وقواعده إلى
ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : مسألة الاعتقاد بوجود إله قادر خلق الكائنات ووضع
قوانينها ورتب نظامها لا تغيب عن علمه وإحاطته صغيرة ولا كبيرة فى الأرض
ولافى السماء وهو على كل شىء قدير ، وكذلك الاعتقاد بوجود عالم أسمى
من هذا العالم الأرضى تحي فيه أرواحنا حياة أبدية وفيه تجازى النفوس على
ما كسبت من الخير والشر فى حياتها على الأرض ثم الاعتقاد فوق ذلك
بوجود أرواح مجردة عن المادة تسمى الملائكة هم الصلة بين العالم العلوى
والعالم الأرضى وأخرى تسمى الشياطين أو الجن ، وبأن لله رسلا من البشر
اصطفاهم ورفع عنهم حجاب الحس فى أكثر الأحيان لتتم المناسبة بينهم وبين
الملائكة فيتلقون عن أولئك رسالات ربهم بقصد تبليغنا إياها

المسألة الثانية : مسألة قوانين الاجتماع وآداب التعامل

والثالثة : مسألة العبادة التى هى بمثابة الشكر لذلك الخالق العظيم والمدبر
الحكيم على ما أسدى من نعمة ظاهرة وباطنة ، فتكون كل قضايا الدين
- العقيدة ، والمعاملة ، والعبادة - كتشريع موحى من الله إلى بعض
أصفيائه من عباده .

وسنبين فيما يأتى رأى العلم والعلماء وحكم العقل وشهادة الواقع فى تلك
القضايا غير مستندين فى حجتنا إلا على منطق العلم الحديث لكى لا نخذع

الناس بزخارف أقوال قوم من الأغرار والباحين لا ترتاح نفوسهم إلا
بهدم أصول الأخلاق وزعزعة دعائم العقائد الدينية زاعمين أن العلم ارتأى
أن الدين لا يتفق والعلم في شيء والواقع أن العلم يسير نحو الدين بخطى سريعة
وخصوصا إذا كشف له عن بعض الأغوار الغيبية المحجبة المستعصية على
أسلوبه ووسائله

وجوب الاعتقاد بالمخالق

والآن نبدا كلامنا عن العقيدة بالمخالق الذي كون الكائنات ودعم نظامها
مؤيدين كلامنا برأى العلم الحديث وأقوال الفحول من علماء الفلك والكيمياء
والطبيعة في الغرب فنقول :

إن من نظر - وقد خلصت بصيرته من الجمود العلمي وأغاليط الحواس -
لنظام الأفلاك وترتيب الكواكب الثابتة والمتحركة وهي تنبعث في مداراتها
المحكمة من مبادئها إلى غاياتها وفكر في التجاذب المتبادل بينها والحافظ لها
والذي يقودها بنظام دقيق يخبر عن قصد حكيم وتدير رشيد يهدف إلى
أغراض بعيدة ومقاصد سامية في عمارة الكون وتنظيمه وإمداده بالقوى
المختلفة لتجريكه وبقائه وتزويده بسائر منفعه ، ثم أرجع البصر إلى العالم
الأرضي وتأمل في مواليد وأجناسه وأنواعه فرأى الجماد وطبقاته والحيوان
وفصائله والإنسان وعقله وإرادته واختياره وحسن تديره ثم أنعم النظر
فيما حوله من القوى الباهرة كالسكرباء والمغنطيس والضوء والحرارة وسائر
القوانين والنظم التي تسيطر على الطبيعة وتقودها إلى الرقي والسكال .

نقول إن من رأى كل ذلك وفكر فيه بعقل يطلب الحق الصراح وبصيرة
خالصة من الزيف والهوى تبين له بعين اليقين والتبصر الجديرين بالإنسان

أن كل ما أظلت السماء وأقلت الأرض خاضع لقوانين ثابتة متضامنة تحوطها
الألفة والوحدة دالة بذلك على أنها صادرة عن قوة خفية وإدراك عظيم
لذات منزهة هي علمتها ومصدر وجودها . وفي سبيل البحث عن أصل تلك
العلة تحيرت عقول سائر البشر .

فقال قوم لا يعقلون إنها نفس الطبيعة فيكون السكون في رأيهم هو
المسكون والفعل هو الفاعل والصنعة هي الصانع .

وقال قوم لا يعلمون إن العلة هي النواميس التي تقودها فيكون القانون
في نظرهم هو القانون وهو المقنن في وقت واحد ويكون النظام هو نفس
المنظم والحركة هي المحرك الأول .

وقال قوم لا يفقهون إنها المادة فتكون المادة الميتة والهيولى المتحولة
التي هي مقر السكون والفساد والتلاشي والانحلال هي نفسها — على زعمهم —
العلة التي كونت عالمنا ونظمته ورسمت قوانينه ثم بعثته إلى السكال فتكون
المادة هي العلة وهي المعلول أو السبب والمسبب على أن المادة في عصرنا
الحاضر وعلى ضوء العلم الحديث ليست أكثر من كم من الطاقة الذرية يوجد
ويتحول ويتلاشى بما تنتجه الطاقة الأصلية وبعبارة أخرى الجواهر الفردة
واختلاف سرعة كهارجها حول نواتها وتعدد تلك الكهارج قلة وكثرة على
أن السكون الذي نعيش فيه في نظامه البديع وحوادثه المحكمة المبادئ
والغايات يحتاج لا محالة إلى تدبير ذات عليا مدركة تدرك ما تصنع وتسيطر
على نظام ما تبعد . والمادة كم ميت لا يدرك ولا يعي توجده القوة بطاقتها ثم
يتلاشى بتلك الطاقة مرة أخرى .

وقال آخرون إن العلة في الوجود هي الضرورة وقال غيرهم إنها الصدفة
وما علمنا وأبيك ولا علم العلم وجود شيء في الكائنات اسمه الضرورة

أو الصدفة ولا ثمة إلا النظام والمنظم ومن العجيب المدهش أن تلقى تلك الآراء بعض الرواج في مثل عصرنا الحاضر عصر الذرة والطاقة والاشعاع والمعادلات الرياضية (أي العقلية البحتة) . ثم يعسود كل أولئك المعلولون لوجود الكائنات بالمادة أو بالصدفة أو بالضرورة ويناقضون نصوص مذاهبهم ونتائج مقدماتهم فيقولون مضطرين بمنطق العلم ان لا بد لكل معلول من علة ولكل حركة من محرك ولا بد لكل حادث من سبب فينقضون آراء أنفسهم بأنفسهم وكفى الله المؤمنين القتال .

ونحن لانجد في الرد على أمثال هؤلاء أحسن من إيراد أقوال بعض أكابر علماء الكيمياء والطبيعة والفلك الذين هم أساطين العلم الحديث وأولو الشأن فيه لئلا يخال لمقلديهم في آرائهم من أبنائنا المحدثين أن الذي حفزنا إلى توهين هذه الأفكار الواهية بل السخافات الجنونية هو التعصب للدين أو الجمود على القديم وليؤخذ القول عن أهله ويستمد حكم العلم من القائم به .

يقول العلامة (جول سيمون) العضو بالمجمع العلمي الفرنسي تسفيها لرأي القائلين بأن العالم هو علة نفسه :

(وجود العالم بغير علة أمر غير معقول ومثله وجود جبل أو شجرة أو عود من العشب بل حبة من الرمل أو ارتفاع هذا العود وامتداده قليلاً أو كثيراً بغير علة غير معقول أيضاً . فضروره العلة تتوقف على خطر المعلول حتى ان سقوط ورقة شجرة بغير علة كمنجوم غابة بأكملها من بطن الأرض كلا الأمرين على السواء معجزة تحتاج إلى علة مدبرة) .

ويقول العلامة الفلكي (هرشل) الانكليزي المشهور في إثبات عدم فسكان العلم الحقيقي لوجود مدبر الكائنات :

(كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق
أزلى لاحد لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون ، والرياضيون والطبيعيون
والفلكيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم الذي هو في الحقيقة
صرح عظمة الله وحده) .

وقال (ألفرد روسل ولاس) في الرد على تبجح القائلين بأن الطبيعة
أوجدت نفسها :

(إن الطبيعيين الماديين يتجاهلون القوة المدبرة الخفية التي تمسك الخلية
الحية بفضل تأثيرها من الدور في سلسلة من التحولات يستحيل إيضاها
بأية طريقة كيميائية أو ميكانيكية) .

قلنا إن قوما من الذين أزاغت الشهوات بصائرهم يرون أن لا حاجة في
خلق الكائنات ونشوتها لإله يبرؤها ويرعاها ويدبر شئونها مادامت الخليفة
تسير على نظم مقدره ونواميس مقررة وما دامت للمادة عال من القوة
والحركة ترجع في التطور والنشوء اليها . وكبر عليهم أن يقولوا الواقع الذي
يقبله العقل ويؤيده العلم من أن المادة وحركتها ليستا إلا مظهرين من مظاهر
قدرة الخالق التي لا تحد والتي تعالت أسرارها عن أن تدركها أفهامهم المريضة
وهم يهربون من قول الحق قصدا لأنهم لو قالوا بوجود إله خلق الكائنات
ونظمها ووضع قوانينها لالتزموا مع ذلك بأن يقولوا بخلود النفس ويؤمنوا
بالآخرة والحساب ودينونة الثواب والعقاب والقوم يريدونها فوضى في
الأخلاق والدين بلا محاسب ولا رقيب ويريدون فوق كل ذلك أن يمثل
بالفضائل الإنسانية عارية مهانة لا يسترها ثوب من التقى ولا شعار من العفاف
لترقص رقصة الموت أمام أعينهم وليفخروا بأنهم هم حافرو قبرها وخامدو
أنفاسها ثم يخلو جو العالم بعد ذلك لأنانيتهم وشهوات نفوسهم متوسلين إلى

غرضهم هذا برأى عاثر من التفلسف وبرهان مفلول من قشور العلم .
وقلنا إن العلم الصحيح برىء من زيفهم وإلحادهم وقد سردنا أقوال بعض
أعلام العلماء الأوربيين الدالة على ذلك .

وإنا والله لا نتصور أن قلبا إنسانيا مهما انحط شعوره وجمد إدراكه
يجعل من العلم شاهد زور لأهوائه ومن الفلسفة وسيط سوء لشهواته ثم يقوم
في وجه عظمة الخالق وأمانة العلم مقام الطفل يبرر خطاه أمام معلمه خيفة
العقاب مؤملا أن يكون صواب العلم مطابقا لما وقع هو فيه من الخطأ ، أو
مقام الرجل الأحق أمام شاشة السينما متوهما أن الآخيلة التي تتراءى له عليها
إنما تتحرك من ذوات نفسها بلا مقدر لتلك الحركات ولا مدبر .

وإليك أيضا من اعتراف العلم وقرار العلماء باستحالة وجود كون
بلا مكون ما يكفي أقله في تجهيل أولئك الأغرار وتسفيه أحلامهم .

قال العلامة الفيلسوف الانكليزي عمدة الطبيعيين (باكون) (إن الحقائق
الدينية قد تظهر لنا باطلة ولكن ذلك لضعف معارفنا) .

وقال العلامة (طمسون) الطبيعي الأمريكي المشهور (كلما تقدمنا في العلم
زاد شعورنا بقدرة الخالق وعظيم أعماله) وقال (هربرت سبنسر) (نرى
من بين كل هذه الأسرار التي تزداد غموضا كلما زاد بحثنا فيها ، حقيقة واضحة
لا بد منها وهي أنه يوجد فوق الإنسان قوة أزلية أبدية ينشأ عنها كل شيء) .
وقال الأستاذ (لينيه) (إن الله الأزلي ، العالم بكل شيء والمقتدر على
كل شيء . قد تجلى لي ببدائع صنائعه حتى صرت مندهشا مبهوتا فأى قدرة
وأى حكمة وأي إبداع أودعه ذلك الإله في مصنوعات يده سواء في أصغر
الاشياء أو أكبرها !! إن المنافع التي نستمددها من هذه الكائنات تشهد بعظم
رحمة الله الذي سخرها لنا ، كما أن جمالها وتناسبها ينبيء بوسع حكيمته ،

وحفظها عن التلاشى وتجدها يقر بجلالته وعظمته)

وإليك شهادة عالم بتأثير العلم الصحيح على نفوس العلماء الحقيقيين
المتبحرين فيه وهم يقولون بعكس أقوال أدعياء العلم ومقلديهم من
الملحدين والإباحيين .

يقول الأستاذ العلامة (فوتنل) في دائرة معارفه (إن أهمية العلوم
الطبيعية لا تنحصر في إشباع نهمة عقولنا ولكن أهميتها الكبرى هي رفع
عقولنا إلى خالق الكون وتحليتنا بإحساس الإعجاب والإجلال الواجبين
لذاته المقدسة) .

وقال الطبيعي الانجليزي الأستاذ (ميلين ادوارد) (يجب أن يندهش
الإنسان حينما يرى أمام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة الدالة على حكمة
المبدع ، رجالا يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج
الصدفة أو بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة وأثر تلك الطبيعة التي
تكون مادة الخشب والأحجار . وأن إلهامات النمل مثل أسمي مدركات
القوة المدركة الانسانية ليست إلا نتيجة عمل القوة الطبيعية أو الكيماوية .
إن هذه الفروض الباطلة أو بالأحرى هذه الأضاليل العقلية التي يسترونها
باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضا فان الطبيعي المحقق لا يستطيع
أن يعتقد لها أبدا ، وإذا أطل الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات
الضعيفة سمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الإلهية ترشد مخلوقاتها إلى
أصول أعمالها اليومية)

وإليك أيضا شيئا من الأدب العلى الذى يفيضه العلم الصحيح على نفوس
العلماء والمحققين فتجيش به صدورهم وتلهج ألسنتهم معترفين بالعجز حيال
سر الكون وعظمة المكون قال الأستاذ (سابتييه) العالم الطبيعي المشهور

(إن العلماء أول المعترفين في كل فرع من فروع العلم بأنهم لم يدركوا منه إلا جزءاً محدوداً وأن أكثرهم تواضعاً هم أكثرهم علماً على أنهم يعترفون بأن ما حصلوا عليه للآن ليس إلا عدماً بالنسبة لما يحملونه)

فهذا رأى العلم وأقوال العلماء فمن أين ياترى جاءنا شباننا الملمحدون بأفكارهم السخيفة التي يريدون أن يزعموا بواسطتها عقائد الضعفاء من اخوانهم ويقتحموا سبيح الفضائل نافذين إلى نفوسهم الغضة ليخرجوا بها إلى حومة الرذائل والنقائص بغير علم صحيح أو دليل مبين

هذا ولنسكتفي الآن بقول الأستاذ العلامة (كاميل فلامريون) الفلكي الفرنسي المشهور مندداً بادعاءات أساتذة شباننا المتحدلقين الذين نقلوا عنهم ذلك الإلحاد ولك أن تقول ذلك الهوس الحديث موهمين البسطاء أن هذا هو ما قرره العلم المحدث وأنتجته الفلسفة المجددة والعلم والفلسفة معاً بريثان منه وهو إلى الخرف والهوس أميل

يقول العلامة الأنف الذكر (إن هذه الادعاءات ليست أمام النظر العلمي إلا هباء منثوراً. إن نيوتن كان يقول: يظهر لي كذا وديكارت كان يقول: إني أستنزل حكمكم في هذا الفرض ولكن هؤلاء الشبان القليل الخبرة يقولون: العلم أثبت كذا ونفي كذا وقرر كذا مع أنه ليس فيما يقولون ظل من البرهان العلمي، انكم تتجاسرون في أن تعزوا للعلم هذا العبء الثقيل. ولئن سمعكم العلم فقد حق له أن يضحك استهزاء منكم)

وصدق الله العظيم حيث يقول في القرآن كتابه المجيد

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

ونتيجة القول والحق اليقين في هذه المسألة العظمى هي: أن الدين في

إطلاقه أول العلم وآخره فهو أول العلم من حيث أنه أول أمر بالنظر في الكائنات ومنبه على فضل العلم والعقل ومبين لشرفهما ورفعة أهلهما وبالآخص الدين الإسلامي الحنيف الذي يقرر أن لا إله إلا الله وأن كل ما ظهر من خلق وإبداع في الملك أو في الملكوت إنما كان بفعل الله ونتيجة لإرادته ومشيتته فما شاء كان وما لم يشأ لا يكون له الخاق وله الأمر ولا شريك له في الملك وأن الرسل والأنبياء محمدا وعيسى وموسى وإبراهيم ونوحا وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعا صلوات الله وسلامه إلى آدم كلهم في نظر الإسلام مندوبو الله ومختاروه وأمنأؤه على رسالاته فضلمهم على خلقه وكلفهم بحمل وحيه وكلامه إلى أهل الخير والتقى من عباده ، وقد حث على طلب العلم وفضل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - إلا مادعا إلى إلحاد أو شرك - ورفع من شرف العقل وامتدح أولى الألباب والمتفكرين والمتوسمين في مواضع كثيرة من كتابه (القرآن) ورفع منار الحرية ثم نادى صريحا بأن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى (وهي خشية الله وحبه)

وفي عرف الإسلام أن أوليات العلوم والمعارف إنما جاءت على ألسن الرسل وكذلك أوليات اللغات وأسماء أفراد الموجودات ومحدثنا بأن أنفع الحكم المنورة للحقول مستمدة من أحاديث الأنبياء وكلامهم وما أوحى إليهم من عند ربهم والدين كذلك آخر العلم من حيث أنه النتيجة الغائية المنشودة لكل عالم نبيل أو فيلسوف محقق تصفح أعيان الكائنات بنزاهة وإخلاص طلبا للحق في ذاته فأرشد إلى عللها ومصادرها ومصيرها وتوحدت في نظره القوة الخالقة والعظمة المدبرة التي تسوس مخلوقاتها وتكؤها وتعمل على إسعادها (١) وكل

(١) ومن ثمة ينطلق لسانه مندفعاً بوعى أو بغير وعى بقوله : لا إله إلا الله

معبرا عن الحقيقة التي تنطق بأفعالها ناعمة نفسها

قول يناقض هذا فهو أشبه بالجهل منه بالعلم وأقرب إلى الباطل منه إلى الحق
وسفسطة كاذبة لنفوس ضالة مضللة

وإذا كان غرض العلم الصحيح إصلاح الحياة وتضامن أهل الانسانية
على العمل النافع وإسعادهم وهو مالا نشك فيه فهو مقرب للدين الحق وباعث
عليه ، وحينئذ لا يكون ثمة خلاف بين الدين والعلم ، اللهم إلا في أسبقية
الدين للعلم في هداية أفراد الخليقة إلى ما ينفعهم ويوجب لهم السلامة ويدفع
عنهم ما يضرهم

« كَلَّا تُمَدُّ هَوْلًا وَهَوْلًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا »

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه ورسوله محمدا (صلعم)

« إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ » « وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ » « وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (أى يا محمد) مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ » وقال تعالى
« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا » « رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » وقال
« وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .
هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ

قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ
غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ «
وأما إذا كان غرض العلم المزعوم جحود الحق والاحاد بالخالق وإفساد
النفوس وتضليل الأفكار وتقسية القلوب وتخليتها من عوامل الشفقة والرحمة
وحب الخير فهذا العلم حقا لا يتفق والدين في طريق لأنه لا يكون حينئذ علما
صحيحا وإذا لم يكن علما صحيحا فهو باطل وبعبارة أخرى يكون جهلا مركبا
والجهل والباطل لا يماشيان الحق في سبيل كما تقدم يقول الله تعالى في القرآن
(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ
أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرَضُونَ) (وإن تطمع أكثر من في الأرض
يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)
واذن فليعلم الناس من أهل العلم الحديث والقديم وغيرهم ان الغرض
الأول للدين هو الاعتقاد بالخالق وهذه حقيقة من ضيعها فقد حكم على عقله
بالعقم وعلى نفسه بالشروء عن بدائه الحقائق

والغرض الثاني حماية الاجتماع وصيانة المخلوقات عما يضرها أو يبيدها
وهذا ما يدعيه العلم ويدعم عليه شرفه فان تقول متقول على العلم بما يناقض
ذلك فهو عدو لدود للعلم وهادم لوظيفته ومحطم لآمن درة في تاجه
والغرض الثالث للدين التعرف إلى الخالق وشكره وعبادته وحبه وهذا
أدب لو تجرد منه العلم لأصبح عاطلا من أفضل حلية تزيينه وتكسبه الجلال
والهيبه في أعين الجهال والمتعلمين ولو أهمل العالم التعرف إلى خالق الكائنات
وتعظيمه وشكره على نعمة المعرفة لحكم عليه بالجهل وعلى تفكيره
بالقصور وعلى عقله بالعقم وإليك معيار من القرآن تحتبر به اتجاه العلم
الصحيح من اتجاه العلم الفاسد فمثلا يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ)

أفهل ترى أن العلم الصحيح يمكن أن ينسكرك ذلك أم أنه يأمر به ؟ فإذا
كان يأمر به فلا خلاف في مثل هذه الفضائل الاجتماعية إلا في نظر عدو
الدين والعلم معاً وإن كان لا ينسكركه فأظنك معي في تسمية ذلك العلم جهلاً
كما قدمنا .

ويقول الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)

أفتري أن العلم الصحيح يعترض على ذلك ؟ ويقول الله سبحانه وتعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ

تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ

رَحِيمًا) ويقول (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)

أفهل يعترض العلم الصحيح على هذا أيضاً ؟ والجواب الحقيقي إن العلم
الصحيح لا يناقض قط أى قول نافع أو أى رأى نافع أو أى عمل نافع
وإذا كان الأمر كذلك فأى فرق جوهرى بين العلم والدين وبعبارة عكسية :
أى تناقض بين العلم الصحيح والدين الصحيح ؟ فإن قيل إن ما ذكرتم من هذه
المقاييس والمعايير إنما هى أمور خلقية ولا علاقة بينها وبين العلم الحديث .
أقول إذا اعترض معترض بمثل هذا فكأنما يريد أن يكون العلم مجرد
صناعة تحليل وتركيب فقط وهذا وإن كان بعض العلم فإنه ليس هو العلم فى
عمومه بل هو الجزء الأدنى من العلم وإنما الجزء الأعلى والأكبر والأهم منه
هو أهداف العلم فى مجموعه وما يرمى إليه من خير ونفع للإنسانية سيما وأن

الأخلاق والسلوك الشخصي والنفعة العام للهيئة الاجتماعية كل هذه الأمور يجب أن تكون من المقاصد العليا للعلم وكذلك التعرف إلى مبدع الكائنات .
والذي يريد تجريد العلم من ذلك فهو كائن لا يعلم أنه لا يعلم ثم إنه يريد حصر العلم في دائرة علمه هو الضيق أو على الأقل في دائرة جهله الواسع وإليك نموذج من اتفاق العلم الصحيح والدين الصحيح في باب العبادات (ولا تعجب) : فمثلا ان كل ما حرم شرعا حرم علما وعقلا - كالزنا واللواط والسرقه والخمر والقتل وغير ذلك - وكل نجس في نظر الدين فهو قدر وبيء في نظر العلم كالفضلات وثور الكلب والماء الراكد الذي تحل فيه الميكروبات بالضرورة أو الملوث بغيره ونحو ذلك ، فإذا سألت الدين عن مثل هذه الأشياء قال لك إنها نجسة وإذا سألت العقل استقذرها وإذا سألت العلم كشف لك عن جراثيم (ميكروبات) الأمراض التي تحتوى عليها

والعلم مثلا يحضنا على تريض الجسد وتنظيفه وخصوصا الفتحاح التي تتصل بالجوف كالأنف والأذن والعين لإزالة ما قد يعلق بها من مسببات الأمراض .

والدين الإسلامى يأمر الإنسان بالتنظيف والنظافة غسلا ووضوءا واستنجاها وفي ذلك من أسباب الصحة وحسن نمو البنية ما لا يخفى على كل عالم يقدر قيمة علمه ، والدين يأمر بالصلاة وفي ذلك من رياضة الجسم والنفس معاً ما لا يحتاج إلى شرح . والعلم يوجب الحمية وتنظيف المعدة للمحافظة على الصحة أو عند طرؤه المرض والدين يأمر بالصوم وفي الصوم من الحكم العلمية ما يعجز عن حصره الطب نفسه فاذا أضيف إلى الصوم وهو الحمية في علم الطب الإكثار من غسل الأعضاء بالماء وهو ما يأمر به الدين الإسلامى خرجنا بالركنين الأساسيين (الحمية والتنظيف) الذين تهدف إليهما أهم نظريات

العلوم الطبية والصحية الحديثة في عصرنا الحاضر وبالأخص العلم الطبي القائل
بالعلاج الطبيعي ثم ان العلم يهدف إلى الرحمة بالفقراء والزمنى والمرضى
واغاثة المساكين والدين الإسلامى يأمر بالزكاة والصدقة ويجعل الإحسان
للغير أمراً مقدساً ونصيها مفروضاً للفقير فى مال الغنى

والعلم يقول بالسياحة وتكوين النقابات والجماعات والمؤتمرات والذين
الإسلامى أوجب ذلك بالجمعة والحج لأن الغرض من تشريع الجمعة اجتماع
أهل كل حى فى مسجد جامع يكون لهم بمثابة عيد أسبوعى واجتماع عام يجلس
فيه الأمير إلى جانب الحقير والغنى ملاصقاً للفقير وكذلك الأحد للمسيحى
والسبت للأسرائيلى

والغرض من تشريع الحج السياحة لحفظ الصحة وزيادة المعرفة ولكى
يكون الحج فضلاً عما فيه من العبادة مؤتمراً عاماً شاملاً لأكثر المسلمين فى
جميع أنحاء العالم ليتعارفوا ويتذاكروا فى شئونهم العامة والخاصة وليؤدوا
شعائر دينهم مهلين مكبرين ويعودوا إلى أوطانهم اخواناً . والحج موجود
فى الديانات المنزلة الثلاث

والمراد بالعلم هنا العلم فى عمومه الشامل لجميع الفروع العلمية . وهكذا
يكون ضمنه علم الأخلاق وعلم التربية وعلم السياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس
وعلم الصحة والطب والطبيعة والكيمياء الخ وكلها داخلة تحت اسم العلم الذى
ندعى أنه غير مناقض للدين وأنه يتفق معه فى الغايات والمقاصد إذا كان علماً
بمعنى الكلمة

وفى الدين من مثل هذه الحكم الكثيرة التى لا تفند عن الأغراض
الحقيقية للعلم الشئ الكثير فإن ادعى مدع أن العلم الحديث يدعو إلى
الإلحاد قلنا له لعل ذلك يكون من شيطان العلم لا من العلم نفسه ولا تستبعد

أن يكون للعلم شيطانه كما للدين شيطانه أيضاً ونحن نعيد الدين والعلم معاً من
الشيطان الرجيم ومن ترهات المفترين المضللين

وأفضل ما يقال في هذا الباب قول الله سبحانه وتعالى في كتابه وهو خير
القائلين وأحكم الحاكمين

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا
لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا » « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
نُورًا مُبِينًا »

الله موجود

كان للسلف الصالح طرق لطيفة في اقناع المنكرين لوجود الله نأتى هنا
ببعضها تسمياً للفائدة ودلالة على ما كان لهم من القوة في الاقناع :

يروى أن بعض الزنادقة انكر الصانع عند جعفر الصادق رضى الله عنه
فقال جعفر : هل ركبت البحر ؟ قال نعم . قال : هل رأيت أهواله ؟ قال
بلى ! هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين ، فتعلقت
أنا ببعض ألواحها ثم ذهب عني اللوح فاذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج
حتى دفعت إلى الساحل .

فقال جعفر : قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح
حتى ينجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك ؟
أم كنت ترجو السلامة بعد ؟ قال : بل رجوت السلامة . قال جعفر : بمن
كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل . فقال جعفر : ان الصانع هو الذى كنت
(م ٥ حكمة الاسلام)

ترجوه في ذلك الوقت وهو الذي أنجأك من الغرق . فأسلم الرجل .
وجاء في كتاب (ديانات العرب) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران
ابن حصين : كم لك من إله ؟ قال : عشرة . قال : فمن لغمك وكربك ورفع
الأمر العظيم إذا نزل بك من جملتهم ؟ قال : الله . قال عليه الصلاة والسلام
مالك من إله غير الله .

وكان أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه سيفاً على الدهرية ، وكانوا يتحينون به
الفرص ليقتلوه ، فيذمنا هو في مسجد قاعدا إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة
وهمو بقتله فقال لهم : أجيئونني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم . فقالوا له هات .
فقال : ما تقولون في رجل يقول لكم إنى رأيت سفينة مشحونة بأحمال مملوءة
بالأثقال قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهى من
بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح بجريها ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك
في العقل ؟ قالوا : هذا شيء لا يقبله العقل . فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله !
إذا لم يجوز في شرعة العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير متعهد ولا جحر
فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة
أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ فهتوا جميعاً وقالوا : صدقت
ثم أغمدوا سيوفهم وانصرفوا نائبين .

وسأل بعض الزنادقة الشافعي رضى الله عنه قائلين ما الدليل على وجود
الصانع ؟ فقال ورقة التوت هل طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عنكم ؟
قالوا : نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم والنحل فيخرج منها
العسل والشاة فتربي اللحم وتخرج اللبن وتأكلها الطيأ فتغذيها وينعقد في نواجذها
المسك أو ليس هذا كذلك ؟ قالوا نعم قال فمن الذي جعل هذه الأشياء متنوعة
الافرازات والغذاء واحد ؟ فاستحسنوا منه ذلك وآمنوا !

ومثل الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كيفية الخلق بقلعة حصينة ملساء
لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الابرين ثم انشقت
الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل! وعنى بالقلعة
البيضة وبالحيوان الفرخ وبالفضة البياض وبالذهب الصفار وقال لهم: اسمعوا
وانظروا عمل الصانع بالصفار والبياض!

وسأل هارون الرشيد الإمام مالك رضى الله عنه عن ذلك فاستدل
باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات واختلاف الحيوانات
وسئل أبو نواس عن وجود الله فقال:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات بأحداق كأنها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

وسئل اعرابي عن الدليل فقال: البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام تدل
على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أما تدل
على الصانع الحكيم والقدير العليم الحكيم؟

وسئل طيب بما عرفت ربك؟ قال بالخلق السوى والداء الدوى
والموت المردى وبدلائل الصحة والمرض فإن للصحة علامات وللسقم
أعراض وبأن في الجسم مناعة أوجدها الخالق تساعد في التطيب وتدنى
الشفاء من قريب، وعرفته بدواء مجفف أطلق وبلعاب ملين أمسك (ومراده
البطن) وبذى علامات للصحة مات وذى علامات للموت شفى والطبيب
لا يدري وكل هذا التدبير يدل على وجود اللطيف الخبير.

هذه البراهين كلها مندمجة في قوله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» وقوله:

« فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ »

الاسلام والتدين

الإسلام مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق تسكفل لأهلها ولكل من عمل بها تنظيم شؤون الحياة وتضمن لهم سعادة الآخرة بعد الممات وهي مع ذلك كشرعية عامة ليست مقصورة على أمة دون أمة ولا مقيدة بزمان ولا مكان ولذلك يخاطب الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بقوله: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »

تلك الشريعة العامة المؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله ووصوالح المجتمع هي نفسها الشريعة التي أنزلت مع آدم ودعا إليها نوح وجاهد لإظهارها ابراهيم وعمل بها موسى وعاش عليها عيسى عليهم السلام وأكملها محمد (صلعم) قال سبحانه وتعالى

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »

وتلك الشريعة المحمدية هي أيضا المثل الأعلى في هذا العصر وفي كل عصر لسائر النظم الفاضلة والمدنيات الصحيحة وبصرف النظر عن تقصير بعض القائمين بها في كمال تطبيقها وعدم رعاية حقها فتلك سنة البشر إن طال عليهم الأمد ومن خصائص الشريعة القرآنية المحمدية أنه كلما تقدم العلم فسر نصوصها ودل على سعة أفقها وصلاحتها لكل زمان ومكان وكلما ترقت الفلسفة الروحية جنحت بمقتضى روحيتها إليها حتى يأتي اليوم الذي تضمها فيه إلى أحضانها ، وتواخي

بين الدين والعلم والفلسفة مؤاخاة صحيحة أمام هيكلها الكامل ، قال العلامة الانكليزي (جونسون) (اننا نرى اخواننا المسلمين مولعين بالوقوف على عاداتنا وأحوالنا ويسعون في تقليدنا ولسكنتنا نحن الذين يجب علينا أن نأخذ عنهم ونتعلم منهم فهم أصحاب التعاليم الحكيمة وهم المقدمون علينا في الهداية وهم أصحاب علم الإلهيات وعلم التشريع في العالم المتمدين بأسره وإن لهم الصنيع الجميل على تقدم المدنية الغربية ومن الواجب على أهل المملكة الانجليزية أن يحتزوا آثارهم ويسعوا في دفع الأباطيل المنتشرة بين عامتنا عن دينهم وعاداتهم منذ القرن الرابع عشر وأن يراعوا احترام شريعتهم وكتبهم المقدسة ولو أننا تبصرنا من قبل في أحوالهم وشرائعهم بإخلاص لما وجد بيننا محل للنزاع في فضائلهم وآدابهم وسمو تشريعهم) وقال (جوتيه) أكبر شعراء الألمان لما اطلع على مزايا الاسلام (إن كان هذا هو الاسلام أفلا نكون جميعا عائشين فيه) وما ذلك إلا لأن الاسلام هو الدين الفطري الذي يخاطب القلوب مباشرة ويناسب العقول القوية ويتفق والحق في كل طريق ويأخذ على الفطر السليمة والألباب الراجحة كل سبيل ولذا يقول الله تعالى

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

والإسلام وإن كان ديناً روحانياً بمعنى انه شفاء للقلوب من داء الشك والشرك ونور للنفوس الضالمة التي تنشد الحقيقة المطلقة وصلة مزدوجة بين الروح وخالقها فهو من جهة أخرى دين اجتماعي وتشريع مدني لا تتصور العقول ضريباً له في وضوح مبادئه وسمو مقاصده .

جاء ذلك الدين خصيصاً لترقية الإنسانية وتهذيبها وإحكام سنن النظام بين جميع أفرادها فكان بذلك شريعة شاملة كاملة تقرر مبادئ العدل وأصول

المساواة وتدافع عن الحرية (١) ولا أدل على ذلك من حالة الأمم التي دانت
للإسلام في مبدأ ظهوره وكانت متنافرة جاهلة محرومة من عوامل التمدن
والرقى والنظام فجعل لها رابطة متينة وجامعة قوية في قليل من السنين وألف
منها أمة عزيزة الجانب هولت زعامة العلم وقيادة الرقى في جميع العالم قرونا
عديدة وما زالت أحكام الإسلام وآدابه دليلا هاديا لأعظم الأمم حضارة
وأنبها أخلاقاً في التهذيب والتشريع وقواعد الاجتماع حتى يترقى النوع
الإنساني جميعه إلى ذروة السكال والسعادة . وتلك حقيقة كنا في غنى عن
إقامة البرهان على صحتها لولا ما أصيبت به الأمة الإسلامية في نفر من أبنائها
استهوتهم مظاهر المدنية الزائفة فاستأنست أهواؤهم لما فيها من تهاويل المعيشة
الإباحية ومالت نفوسهم الجائحة إلى تساهل بعض القوانين الوضعية في قواعد
الأخلاق والآداب التي تكبح جماح النفوس فاهملوها ظهريا واستخفوا
بالأخلاق والدين معا وأضحى من رأى أولئك أن لا لزوم للدين في عصرنا
الحاضر فان قلت لماذا؟ أجاوبك بلبوغ العقل والتفكير أسمي درجاتهما !
ولكون الطبيعة تسير بحركة آلية فهي لا تحتاج لمنظم أو مدبر يتحتم الاعتقاد
بوجوده ولماذا أيضا؟ لأن الإنسان بلغ من الرقى درجة لا يحتاج معها إلى
دين يسيطر على تصرفاته . بخ . . بخ . وأنعم بهذه الفلسفة الضخمة في
القرن العشرين عصر العلم والنور كما يزعم الزاعمون . وهل في الحق والمنطق
أن فلسفتهم هذه فلسفة صحيحة؟ وهل ما يقولون مبنى على شيء من التأمل
والنظر الصحيح؟ كلا والله وأتعبس بها من فلسفة ما أشأمها وما أشدها صغارا
وحقارة . ولو تساءلنا نحن لماذا وكان الجواب مطابقا للحق لقنا ذلك لأن

(١) ويدخل في شمولها سائر الديانات المنزلة كمقدمات لها . ولذا تؤمن
الديانة الإسلامية بسائر الديانات ما لم تحرف أو تبدل نصوصها .

الدين يقرر وجود إله حكيم خلق الكائنات وهو يعتنى بها ويسيطر على نظامها ويجازى النفوس على حسناتها وسيئاتها في دار غير هذه الدار هي محل الثواب والعقاب ودار النعيم والعذاب .. والقوم يريدون أن يكون أمر الحياة فوضى لا إله ولا نظام ولا حساب لكي يفسدوا في الأرض ماشاءوا وهم لا يودون أن يروا عواقب شرورهم ومفاسدهم . ولماذا أيضا ؟ لأن الدين يحول بين نفوس أتباعه وبين المبالغة في الشهوات وارتكاب المفاسد ويحتم عليهم الكمال الخلق ويحض على العفاف والاستقامة والقوم لا يملكون من نفوسهم أن يأمروها ولا من أهوائهم أن يكبحوا جماحها وصدق الله العظيم حيث يقول :

« ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »

وهل يمكن حقيقة أن يعيش الإنسان بغير دين وبغير معتقد في إله علوى يكفؤه ويرعاه ؟ كلا والله ثم كلا .

ولو نظر الإنسان بعين التعقل والتبصر إلى تركيب هذا الكون الباهر البديع المتقن الصنع المحكم الوضع والترتيب لوجد أن جميع مواليد الطبيعة مقسمة تقسيما مضبوطا إلى فصائل مختلفة ولكل فصيلة نظاما مخصوصا في منتهى الأحكام وقانونا مضبوطا تسير عليه لا يعتوره خلل ولا شذوذ ، وإذا تأمل امرؤ تأمل الحكيم لوجدها كلها ترجع إلى نظام الهى واحد يشملها في مجموعها من جماد ونبات وحيوان فهل يمكن مع هذا أن يخلق الله الإنسان وهو أعلا الكائنات في الطبيعة وسيد أنواعها وأجناسها وفصائلها وخليفة الله في الأرض ثم يدعه هملا بغير نظام يسير عليه أو قانون الهى يرجع في أموره إليه أو شريعة تنظم له حاضر معاشه وتهيء له آجل معاده وتسوقه إلى ما أعد له من الكمال الإنسانى والرقى الروحى بينما نرى للنمل

في قراه نظاما بديعا وشريعة محسوسة تحير العقل وللنحل في خلاياه قانونا
وحكومة منظمة وللحشرات وللبهائم وللوحوش وللطيور نظاما كذلك تلهمه
بغريزتها ولا شيء في العالم الا وله نظام محكم وشرعة مضبوطة وضعها :
« الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا »

ولو جاز أن الله قد جعل حياة الإنسان فوضى يسير على غير هدى
ولادين ينظم مسلكه لكان النمل في جنوده وتنظيمه والنحل في حكومته
وترتيبه والجماد في تنوعه والنبات وفصائله والحيوان وما يشمله من نظام
وإبداع وإحكام خيرا وأقرب إلى الحق من الإنسان في انفكاكه عن النظام
وإلحاده وكبريائه وادعائه

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ »

والإنسان اجتماعي بطبيعته وحيوان بجملته ومملك كريم بروحه وفطرته
وبما أودع الله فيه من سره « فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ » خلقه الله سبحانه من أضداد وركبه من متباينات ألف بينها وأحكام
وضعها في كون متضارب وعالم مملوء بأنواع العجائب ، جمع بين الخير والشر
والإيمان والكفر والسراء والضراء والخيانة والأمانة والرحمة والقسوة
واللؤم والطيبة والصدق والكذب والاستقامة والفجور ثم جعله مستعدا
بطبيعته استعدادا اضطراريا لجميع مافي العالم من خيرات وشرور ، وهو ميال
للخير بحكم فطرته المعنوية ومشاعره الأدبية ، ومدفوع للشر بحكم جنسيته
الحيوانية وجملته الطينية فهل من الحكمة في نظر العقلاء أن يخلق الله ذلك
الكائن المسكين المتباين الأهواء والعواطف ثم يرسله في ذلك العالم المختلف

السبيل والغايات والبحر المتلاطم الأمواج إرسالا مهملا بغير دين يقوده
ولا شريعة عادلة تدعوه الى النافع من الخير وتحذره من الشر حتى يتم وظيفته
في الحياة مع ما علمنا من سنن النظام في السكون؟! واذا كان حال الناس
لا يستقيم ولا يتوطد الأمن في هيئاتهم الاجتماعية بغير قانون وضعي يحدد
تصرفاتهم وحكومة ساهرة تنظر بالعدل في صوالمهم فكم لعمر والحق يحتاج
الانسان في وجوده إلى دين قويم يجمع بين مختلف أهوائه وشرع حكيم
يحفظ كيانه في حياته ويبلغه السعادة بعد مآته ويعلمه الواجب نحو المجموع
ونحو ربه ونفسه؟! وهل الدين إلا مجموع الشرائع الأولى والنواميس العليا
التي وضعت على مثالها الشرائع الاجتماعية والقوانين الوضعية؟ وهل الدين
إلا ذلك الاحساس القهري والشعور الفطري المتسلط على القلوب والأفئدة
بوجوب وجود قوة عالية مسيطرة على سائر نواميس الطبيعة وشئون الانسان
يدين لها جميع المخلوقات ويقدها سائر أهل الأرض والسموات؟ ذلك
الشعور الحق يتساوى فيه سائر أهل العالم بالفرق بين جاهل ومتعلم ومتمدين
ومتوحش وبدوى وحضري

وقد أجمع الكل على الاحساس بالرهبة لتلك القوة العظمى والرغبة فيما
عندها من فضل وخير والاحتياج اليها في كل نفس ولحظة وان تنوعوا في
كيفية عرفانها وسبل التقرب اليها ومهما اختلفت المذاهب والمعتقدات
وتباينت كيفية العبادات. أليس الشعور بهذه القوة العامة أو الحقيقة الالهية
العظمى عام شامل لسائر نفوس البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم
ومعتقداتهم أجل والله وان ضل بعضهم الطريق واهتدى اليه فريق دون
فريق وان شغل بعضهم موضع الايمان بربه من قلبه بألهة متعددة وأهواء
وشهوات فاسدة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوف واحد.

نعم هذا الشعور نفسه هو الذي يدين به المسلم في مسجده والراهب في صومعته والكاهن في هيكله والوثني أمام صنمه وعابد النار في مذبحه وعابد الكواكب في نجومه وكواكبه وألست معي في الرأي بأن كل من في العالم يدين لتلك العزة الالهية على قدر قوة يقينه بها وصحة معتقده أو طريف خياله في تصوره لأهله الوهمية ! أليست هذه القوة الالهية هي التي يتعرف إليها الطبيعي في نواميسه ومباحثه تحت اسم الطبيعة ويبحث عنها الملحد في إشكالاته وشبهاته وان كان ذلك بطريق سلبى يجعله يعتقد بنفس إحداه فيكون مؤمنا بشيء وإلى حد ما

« سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا »

ووالله ما ذلك الاندفاع الفطرى وراء المعتقد بجميع صورته وذلك الشعور المبثوث منذ القدم في فطرة البشر إلا الدين بمعناه العام وان تعددت مظاهر التبتل وصنوف الاعتقاد وتكيفت أنواع العبادات لبارىء كل ما في الأرض والسموات . وعاطفة التدين وجدت مع أول نسمة إنسانية خلقت على الأرض ثم تدرجت وظلت ملازمة للإنسان ومتطورة معه مدا وجزرا وضعفا وقوة وستظل هكذا إلى أن يتلاشى وجوده من على سطح الأرض وكل ذلك يدل على أن الدين أمر فطرى فيما معشر البشر وإن تلون ألوانا ولا يمكن انتزاعه من أفئدة الناس إلا إذا أمكن أن يعيش الإنسان بغير قلب أو شعور يفيض بالعواطف وبغير روح تشعر بالحقائق

قال (أرنست رينان) الفيلسوف الفرنسى الجليل «من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيء نحوه وكل شيء نعهده من ملاذ الحياة ونعيمها ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة الفكرية والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحي التدين أو يتلاشى بل سيبقى أبداً الأبدى حجة ناطقة على بطلان المذهب

الذي يود أن يحصر الفكر الانساني في المضائق الدينية للحياة الطينية ،
وقال (أوجست سابتيه) «لماذا أنا متدين ؟ إنى لم أحرك شفقتى بهذا السؤال
مرة الا وأرانى مسوقا بالاجابة عليه بهذا الجواب : أنا متدين لأنى لا أستطيع
خلاف ذلك ولأن التدين لازم معنوى من لوازم ذاتى ، يقولون لى ذلك أثر
من آثار الوراثة أو التربية أو المزاج فأقول لهم : قد اعترضت على نفسى
كثيرا بنفس هذا الاعتراض ولكنى وجدته يتقهقر أمام المسألة ولا يجلبها
وان ضرورة التدين التى أشاهدها فى حياتى الشخصية أشاهدها بأكبر قوة فى
الحياة الاجتماعية البشرية التى ليست أقل تشبها منى بأهداب الدين . اذن
فالدين باق وغير قابل للزوال وهو فضلا عن عدم نضوب ينبوعه بتمادى
الزمن نرى ذلك ينبوع يتزايد اتساعا وعمقا تحت المؤثر المزدوج من الفكر
الفلسفى والتجارب الحيوية ،

وبالجملة فتق واعتقد أيها القارىء أنه إذا تلاشت كل قوة فى العالم فالدين
لا يتلاشى ولا يزول بل هو باق ببقاء الله ولا يمكننا بحال من الأحوال أن
نعيش بغير دين

وما الدين للإنسان إلا سعادة وما الناس لولا الدين إلا بهائم

محور الاسلام وهدفه

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا
بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »

قد أثبتنا أن الانسان لا يمكنه أن يحيا حياة طيبة دون شريعة إلهية تهديه
وترشده إلى سواء السبيل وأوضحنا الأسباب الموجبة لذلك وقدمنا أيضا أن
الاسلام مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات تكفل للعاملين بها سعادة الدنيا

والآخرة وتصلح بثبات مستمدها وواضح أصولها لكل زمان ومكان والآن نريد أن نفصل ذلك الاجمال تفصيلا لا يدع شكاً لمشكك ولا ريباً لجاهل فنقول: إذا حللنا أصول الاسلام وقواعده المقصودة بالذات في كتابه وشريعة الرسول الذي جاء به وهو محمد (صلعم) بروح التعقل والانصاف لوجدنا أن الاسلام يقوم على أربعة أركان:

(١) توحيد وتنزيه

(٢) علم وعمل

(٣) عبادات ومعاملات

(٤) تقاليد موروثية وعادات

فأول أركان الاسلام ودعامة أصوله المرعية هو التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى في ذاته ووصفه وفعله وتنزيهه كذلك عن الشريك والنظير والنسب وجعل رتبة ألوهيته أقدس من أن يصل إليها وهم واهم أو ينتسب إليها حادث من الحوادث. أجل فان التوحيد مبدأ فطرى عام فى الخليقة تدل عليه الكائنات بتوحيدها وتطورها وارتقائها إلى هدف أعلا من مجرد وجودها وتشهد به نواميس الطبيعة فى توحيدها وتجانسها مما يدل على أن مبدعها ومنظمها والمسيطر عليها هو مبدأ واحد لذات متوحدة هى وحدها واجبة الوجود وما عداها بمكنات محدثات يجوز وجودها كما يجوز عدمها. والتوحيد تعترف به سائر الكتب المنزلة فى حال سلامتها من التبديل والتغيير يقول الله سبحانه وتعالى

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »
« مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ » « قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ » « هُوَ
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ »

وقال سيدنا عيسى عليه السلام في الانجيل « هذه الحياة الأبدية إنك أنت
وحدك الاله الحق »

وقال سقراط شيخ الحكماء : يجب أن تعرفوا أن إلهكم واحد
وهكذا جعل الاسلام عقيدة التوحيد أول وأوجب أصوله لأمرين
الأول : لأن التوحيد هو الحقيقة الواقعة المطلقة التي ليس وراءها إلا
مطلق الباطل والاسلام جاء بالحق

والثاني : لأن الغرض من التوحيد تحرير الفكر وعمق الارادة وحمايتهما
من غول الوهم وسلطان الاستبداد وسجن الجحود ونير الاستعباد وعمى
التقليد لتآخى الانسانية وتتحد وجهة الحياة ويتساوى أفراد الخليقة عظيمهم
وحقيرهم أمام وحدانية الله وجامعة المعتقد ورابطة الدين وأما تنزيه الذات
الأقدس (الله) عن الشريك والنظير والمعين فهو واجب أوجبه الاسلام لأن
الله هو الواحد الأحد الذى له الفعل وله الأمر لا يشبه ذاته شئ من الكائنات
ولا هو يشبه شيئاً منها جللت ذات ربنا عن المثل والنظير والشريك

والغاية من التنزيه تصفية العقول من كدر الشرك وغواشى الخرافات التي
تكون إذا علقتم بالعقل حجاباً كشفياً يحجب عن الحقائق ويزج به في ظلمة
الغفلة والجهالة فيعيش بين أحضان الوهم مقيداً بأغلال الشك .

وقد رفع الاسلام بهذه العقيدة ما كان قد وضعه رؤساء الأديان من
الحجر على عقول المتدينين في فهم الكتب مستأثرين بذلك الحق لأنفسهم

ضانين به على غيرهم من عامة الشعب ليحتفظوا بصولجان الرئاسة وأبهة
السلطان الديني فيحال بين العقول بسبب ذلك وبين الحقائق بحجاب كفيف
من الجود والجهل سداه الظلم ولحمته الأثرة والاستبداد

وقد جاء الاسلام بالتوحيد والتنزيه في زمن كانت فيه الأمم تهيم في ليل
حالك من الجهل والشرك وتأليه الرؤساء وعبادة الكواكب والأحجار
فنادى بأن الله هو الاله الواحد الحق الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له
وأن كل توجه وعبادة لا يقصد بها ذلك الاله الواحد الأحد عبادة باطلة
وشرك محض ويقول الاسلام بأن دين الله واحد في سائر الأزمان وفي
جميع الكتب وعلى السنة الرسل والأنبياء .

« أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » « مَا كَانَ لِبَنِي أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ »
« أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا
مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

وما سائر الرسل في نظر الاسلام إلا طبقة من طبقات البشر امتازت عن
غيرها باستعداد إلهي يؤهل أهل هذه الطبقة لحمل رسالات الله وتبليغها للامم
التي هم من أفرادها فاصطفاهم الله سبحانه وتعالى وعصمهم من الجهل والزيغ
والضلال وأقامهم بين الناس هادين ومرشدين ونزل عليهم شرائعهم السماوية
ليجمعوا كل سنة الخلق على عبادة إله واحد منزه عن علل الحدوث وعلائق

النقص وما يوهم حلولاً أو اتحاداً أو اتصالاً وانفصالاً .
أرسل الله أولئك الرسل ليدينوا للناس بعد التوحيد أن الحياة الدنيا سبيل
إلى الآخرة ولا فوز ولا نجاة من مهالكها إلا للذين يعملون الصالحات في
الدنيا وأن الويل والهلاك للذين يعملون السيئات فيها وأن لاسعادة
ولا هناء للبشر إلا باتباع سبيل الاستقامة والاعتدال والتمسك ببقية مكارم
الأخلاق واحترام حقوق الأفراد والجماعات ودعوة الجميع إلى شريعة عامة
تهدف في مجموعها إلى محبة الخالق وطاعته وشكره

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ »

ثم الاحسان إلى مخلوقاته وإقامة ناموس العدل والرحمة بين أفراد الجماعة
الإنسانية ومحاربة النقائص البشرية ما أمكن واقتباس الكمالات الالهية على
قدر الطاقة .

وهكذا اقتضت رحمة الله بعباده أن يرسل بين كل زمن وآخر رسولا
يحمل للناس هذه الحقيقة في صبغة توافق عقول أهل ذلك الزمن وينزل على
فؤاد هذا الرسول من الشرائع ما يتفق مع شئون ومناسبات العصر وحالة
الامة التي أرسل اليها فكان الدين بذلك نظاما متدرجا يتمشى مع سنة التطور
والترقى وادوار تثقف العقل البشري حتى آن أوان الكمال ودارت الأزمان
وترقت الخليقة واستعدت فطرة الانسان لتلقى آخر رسالة وشريعة في آخر
كتاب على لسان آخر رسول فأرسل الله سبحانه وتعالى محمدا (صاعم) برسالة
الكمال وأنزل عليه قرآنا عربيا غير ذي عوج يخاطب العقول فتفهمه وتطمئن
له الأئدة والقلوب وهو في الوقت نفسه مؤيد بكل ما يستحدث في الوجود
من معارف وعلوم ونظريات وكشوف

« كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »

أنزل الله ذلك الكتاب وقد تفرقت العقائد فوحدها وتذبذبت المكارم

فتبتهما وضلت الأنفس فقومها وتفاوتت أقدار الناس تفاوتاً موهوماً فساوى
بينها ولم يجعل لأحد على أحد ميزة إلا بالتقوى فتهافتت الأمم على الأخذ بما
أقام من دين قويم وسنن من شرائع سمحة ارتبطت بها المصالح متأخين متحدين
تحت لواء التوحيد وجامعة الدين وإخاء الإسلام فتوحدت مقاصدهم واجتمعت
كلماتهم فذلوا المصاعب والعقبات السكائنة في طريق الإسلام ومدوا ظلال
العمران وشيدوا الممالك وسادوا غيرهم من الشعوب التي لم تنهج نهجهم
مليين نداء الله سبحانه وتعالى في كتابه حيث يقول .

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)

وقد استمدوا من عقيدة التوحيد والتنزيه روح الشجاعة والقوة والتضحية
ومن متانة التشريع قواعد المساواة والرقى والحرية فغمرتهم سعادة الدنيا
وأظلتهم هداية الآخرة .

هذا من جهة التوحيد والتنزيه وأما من جهة العلم والعمل فقد قدمنا آنفاً أن
الدين الإسلامى يجعل العلم واجباً محتماً على كل مسلم ومسلمة يطلبونه من المهتد
إلى اللهد . وأما العمل فقد فرض الإسلام على أهله واجبات وفرائض قررهما
القرآن وفصلتها السنة وسيأتى بيانها .

وأما العبادات والمعاملات فهى فرائض وأحكام فرضها كتاب الإسلام
على متبعية إما بقصد العبادة والتقرب إلى الله وإما بقصد سياسة المجتمع في
التعامل وآداب المعاشرة وأما التقاليد الموروثة لأهل الملة الإسلامية من
آبائهم فى الجاهلية فهى بقايا ملة إبراهيم وسنن صالحة سننها العرب بالفضرة
كالختان وتقليم الأظافر وإزالة الشعر من مغابن البدن التي تعتبر عورة أو تكون
محلاً للقذر هذا ولنرجع إلى تفصيل التوحيد والتنزيه ونقدم بين يدي ذلك
بيان معانى الدين والإسلام والإيمان والإحسان ثم بيان العقيدة الإسلامية كاملة

وواجبات الاسلام و مندوباته و حلاله و حرامه و مباحه فنقول :

أصول الاسلام وقواعده

إن الدين إطلاقاً أى الدين فى معناه المطلق هو إدراك قوة سامية مسيطرة على كليات الوجود و جزئياته يدين : أى يخضع لها كل كائن حتى شاعر بسوايغ نعمتها و شديد عقابها و يعترف لها بوجوب العبادة و الدينونة أى الثواب و العقاب فى الدنيا و الآخرة . و الدين لغة من دان أى خضع فأطاع و عبد ومنها دانه أى حاسبه على أعماله فأثابه أو عاقبه

و الدين فى شرعة الاسلام هو ما شرعه الله على لسان نبيه (صلعم) من الأحكام وسمى ديننا لأننا ندين به و نذعن له و ننقاد .

وسمى أيضاً ملة لأن جبريل كان يمليه على الرسول و الرسول يمليه علينا وسمى أيضاً شرعاً و شريعة من حيث أن الله شرعه لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

أما الاسلام فهو فى اللغة مطاق الاستسلام و ماضيه أسلم و من معانيه السلام و السلامة و السلم و كلها مادة واحدة و فى الشرع الإسلامى هو : الانقياد لكل ما جاء به النبي محمد (صلعم) من عند الله . و قواعده خمسة :

أولها : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و معناها توحيد الله و تنزيهه و عبادته و تقديسه ثم اعتقاد السكالم فى رسوله و الصدق فى كلامه .

وثانيها : إقامة الصلاة بحدودها و أركانها و تنحية كل ما سوى الله عن الذهن عند الصلاة - وهو معنى الله أكبر - ثم الخشوع فيها و الفهم لما يقرب أثناءها

وثالثها : إيتاء الزكاة لمستحقها و رعاية كمالها بالصدقة قولاً و فعلاً

ورابعها : صوم رمضان وهو صيانة الجوارح من اللسان و الفكر و البطن و الفرج عما يخالف شروط ذلك الصوم

وخامسها : الحج إلى بيت الله بمكة لمن استطاع و التشرّف بمنجاة الله فى

(م ٦ حكمة الاسلام)

مثل تلك البقاع المقدسة ولقاء المسلمين الذين يأتون من كل فج عميق ليتعارفوا
ويتآلفوا ذاكرين ملبين مهملين متعاونين على البر والتقوى

وأما شعائر الاسلام : فهي إبداء السلام للكبير والصغير والرفيع والوضع
وتشجيع جنات الأقارب والأباعد والاصلاح بين المسلمين والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومخالفة النفس والهوى وحفظ الفرج ونض البصر وحسن
الجوار وكف الأذى وبر الوالدين وصلة الرحم ومجالسة الأخيار واحترام
أهل الصلاح والخير وصفاء الباطن وطهارة الظاهر ثم النظافة والختان وحق
العانة والابط وحسن الهيئه والتطيب وملازمة الوقار ومراقبة الله في جميع الأحوال
وأما أحكام الشرع الاسلامي : فهي خمسة (واجب) وهو ما يثاب المسلم
على فعله ويعاقب على تركه (ومندوب) وهو ما يثاب المسلم على فعله ولا يعاقب
على تركه ويرادفه السنن والنوافل (ومكروه) وهو ما يثاب المسلم على تركه
ولا يعاقب على فعله (وحرام) وهو ما يعاقب المسلم على فعله ويثاب على تركه
(ومباح) وهو ما لا يعاقب ولا يثاب المسلم على فعله أو تركه
وأمر الدين الاسلامي : التي يجرى عليها أربعة :

أولها : (صدق القصد) وهو أداء العبادة بكمال النية والاخلاص لله فيها
وثانيها : (الوفاء بالعهد) ومعناه القيام بجميع الفرائض في أوقاتها
وشروطها وآدابها

وثالثها : (اجتناب الحد) أي اجتناب المحرمات والشبهات وكل ما نهى الله
عنه وأوجب عليه غضبه وعقوبته .

ورابعها : (صحة العقد) ومعناه انطواء القلب على توحيد الله وتنزيهه
والأخذ بجميع عقائد أهل السنة الذين يطبقون سنة رسول الله على القرآن
وأما الايمان فهو في اللغة التصديق المطابق للحقيقة وفي الشرع التصديق
القلبي والاعتقاد الجازم بجميع ما جاء به الرسول من عقائد وأحكام وهو

إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، والايان تزيده الطاعة
وتنقصه المعصية ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وتفصيله أن يؤمن المسلم بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر كله من الله
وحقيقة الايمان أن يطمئن قلب المسلم بما جاء به الشرع كالتوحيد والتمزيه
وبقية أحكام الاسلام ويصدق بجميع ذلك تصديقا شهوديا يباشر الروح
والفؤاد بحيث لو خالفه كل أهل العالم في عقيدته لا يجد في نفسه شكاً أو ريباً
وأما الاحسان فهو الاجادة والاتقان ومعناه هنا العمل لله على وجه
الاخلاص واليقين ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة والحياء منه والتعجب إليه
وإحتمالاً فإن الاسلام علم واعتقاد وعمل ويقضى الاسلام بأن العمل
لا يصلح إلا بالنية ولا تصح النية إلا بالاعتقاد ولا يصح الاعتقاد إلا إذا
كان ذاتياً ومشمولاً بموافقة الكتاب والسنة
وتفصيل المعتقد الاسلامي في مجموعه كما يأتي :

أن يعتقد المسلم المؤمن أن الله هو الحى الذى لا يموت والدائم الذى لا يفنى
وهو القيوم الذى لا ينام والعزیز الذى لا يضام والمميع الذى لا يرام وهو المحصى
لا نفاس الخلاق والمنزه عن الاضافات والعلائق القائم على كل نفس بما
كسبت المجزى كل نسمة بما عملت

(لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)
(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)

وأنه سبحانه وتعالى واحد فى ذاته لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له
منفرد لا ندم له قديم لا أول له أزلى لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي
لا نهاية له ، قيوم بلا انقطاع ودائم بلا انصرام لم يزل ولا يزال موصوفاً
بنعوت الكمال منزهاً عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال لا جسم له
ولا يشبه الأجسام لا يشبهه موجود من الموجودات ولا يماثله قط معبود من

المعبودات ليس كمثلها شيء ولا هو مثل شيء لا يحده المقدار ولا تحويه الأقدار
ولا تحيط به الجهات ولا تكنتفه الأرضون والسموات، لا تتصوره الأوهام
ولا تقدره الأذهان ولا تصل إلى كنهه الأفهام فرد معبود أبدى المملوكوت
سرمدى الجبروت عليم بذات الصدور ويبدء مقاليد الأمور لا مؤخر لما
قدم ولا مقدم لما آخر، ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ولا دافع لمشيئته،
كل الخليفة مفتقرة إليه وهو الذى يجير ولا يجار عليه، لا شريك له فى تدبير
ملكه ولا معين ولا وزير ولا ظهير ولا ند ولا ضد، عادل فى حكمه وقضائه،
محسن متفضل فى جوده وعطائه حلیم لا يعجل وجواد لا يبخل، حفيظ
لا ينسى ويقظان لا يسهو ولا يغفل وهو الذى أضحك وأبكى، وأسعد وأشقى
وأفقر وأغنى وله سبحانه وتعالى الآخرة والأولى وإجمالاً فإن المسلم يعتقد
أن الله سبحانه وتعالى متصف بكل كمال منزله عن كل نقص جاز فى حقه
فعل كل ممكن أو تركه.

وأن لله سبحانه أسماء لا تحصى ولا تستقصى والذى يجب على المسلم عرفانه
منها تسع وتسعون اسماً وهى :

الله الذى لا إله إلا هو الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن .
العزیز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارئ . المصور . الغفار . القهار .
الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع .
المعز . المذل . السميع . البصير . الحكيم . العدل . اللطيف . الخبير . الحلیم .
العظيم . الغفور . الشكور . العلى . السكبر . الحفيظ . المقيت . الحسيب .
الجليل . السكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد .
الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين . الولى . الحميد . المحصى .
المبدي . المعيد . المحي . المميت . الحى . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد .
الفرد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر .

الباطن . الوالى . المتعالى . البر . التواب . المستقم . العفو . الرؤوف . مالك .
الملك . ذو الجلال والاكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار .
النافع . النور . الهادى . البديع . الباقي . الوارث . الدائم . الرشيد . الصبور .
ثم إن لله عشرين صفة يجب على كل مسلم عرفانها والايمان بها وتنزيه الله
عن اضدادها وهى :

أن يؤمن المسلم بأن الله (موجود) ليس بمعدوم (قديم) غير حادث
(باق) لا يطرأ عليه الفناء (مخالف للحوادث) لا شىء يماثله ولا هو يماثل
شيئاً (قائم بنفسه) لا يحتاج لسواه كمثل أو غيره (واحد) فى ذاته وصفاته
وأفعاله (له القدرة) الفائقة فلا يعوقها عائق (والإرادة) المطلقة فلا يمنعها
مانع (والعلم) الواسع فلا يلحقه قصور (والحياة) الدائمة فلا يعتريها زوال
ولا فتور (والسمع) المحيط الذى لا يعزب عنه مسموع (والبصر) الشامل
الذى لا يغيب عنه مرئى (والكلام) القديم الذى لا يشبهه كلام .

فهو (القادر) بلا عكس (والمريد) بلا إكراه (العالم) بلا جهل (الحى)
بلا موت (السميع) بلا صمم (البصير) بلا عمى (المتكلم) بلا بكم .

ثم إنه يجب على المسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره وحلو القضاء ومره
وان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن جميع ما كان فى
سالف الدهور وما يكون فى مستقبل الأزمان فهو بقضاء الله وقدره ويجب
على المسلم أن يعتقد أن القرآن والتوراة والانجيل والزبور من كتب الله
المنزلة على رسله وأن القرآن المقروء بالألسنة المكتوب فى المصاحف
المحفوظ فى القلوب كلام الله القديم القائم بذاته غير مخلوق ولا مبدل ولا
مصنوع إنما هو كتاب الله ووحيه وخطابه الذى نزل به جبريل على نبيه محمد
(صلعم) وأن لله رسلا وأنبياء كثيرين لا يعلمهم إلا الذى خلقهم ويجب على
المسلم أن يعرف منهم خمسة وعشرين رسولا . وهم : آدم . إدريس . نوح .

هود . صالح . لوط . ابراهيم . اسماعيل . اسحاق . يعقوب يوسف . شعيب .
موسى . داوود . ذو الكفل . سليمان . ايوب . يونس . الياس . اليسع .
ايوب . زكريا . يحيى . عيسى . محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً . وأولو
العزم منهم خمسة هم : نوح . ابراهيم . موسى . عيسى . محمد عليهم السلام .
ويجب على المسلم أن يعتقد في حقهم الصدق والامانة وتبليغ الرسالة والفضيلة
وينزههم عما يتنافى وأخلاقهم الكريمة وأرواحهم العالية من النقائص عدا
الاعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية .
وأولئك هم أفضل الرسل وأفضلهم سيدنا محمد (صلعم)

محمد رسول الله (صلعم)

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياص بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
ولد (صلعم) بمكة قبيل فجر يوم الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل الموافق
(٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م) ولما بلغ (صلعم) اربعين سنة أمره الله سبحانه
وتعالى بتبليغ الرسالة وأرسله إلى الناس كافة وإلى الجن عامة وجعله خاتم
الأنبياء والمرسلين وخاطبه بقوله

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ » « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »

وكان (صلعم) معتدل القامة متوسط الطول ليس بالطويل ولا بالقصير
كثيف الشعر سبط الأطراف عريض ما بين الكتفين أبيض اللون مشرباً
بحمرة أكحل العينين أدعجهما وكان إلى ذلك يعني بنظافة جسمه وثيابه ويحرص
على حسن هندامه وكان حاضر البديهة سريع الجواب في أدب ووقار كما كان
كثير الانشراح والتبسط مع أصحابه وأهله وكان شديد الحياء إلا في حدود

الله وكان (صلعم) على جانب عظيم من حسن الخلق وقد اشتهر بين قومه بالمروءة والوفاء بالعهد وحسن الجزار والحلم والعفة والتواضع والجود والشجاعة والصدق والأمانة حتى سموه الأمين وكان يكره عبادة الأوثان فلم يحضر مواسم الحج وكان لا شرب الخمر ولا يأكل مما يذبح على النصب ولا يحضر مجالس اللهو والسمر

وقد أسرى الله به (صلعم) في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بسنة ونصف من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه عرج به إلى السماء حتى بلغ سدرة المنتهى وقربه ربه

« فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى »

ولما بلغ عمره (صلعم) ثلاثا وخمسين سنة هاجر من مكة إلى المدينة في يوم الخميس أول ربيع الأول ووصل إلى المدينة في يوم ١٦ ربيع الأول (٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م) وكان ذلك في يوم الجمعة فصلى بالناس الجمعة لأول مرة وأقام فيها وأظهر دين الله بها وهناك أكمل رسالته . وبعد أن عاش ثلاثا وستين سنة وبعد أن خوطب من ربه بقوله

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »

آثر جوار ربه وذلك في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق (٨ يونية سنة ٦٢٢ م)

وقد خرج (صلعم) من الدنيا ولم يخلف من حطامها الفاني شيئا وإنما ترك التوحيد والإيمان والقرآن وعبادة الواحد الديان وعلى المسلم أن يعتقد بعد ذلك أن لله ملائكة لا يحصرون ولا يعدون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولهم أجسام لطيفة نورانية قابلة للتشكل ليسوا ذكورا ولا إناثا ومن هؤلاء الملائكة جبريل أمين الوحي

وميكائيل الموكل بالأمطار وإسرافيل الموكل بالصور وعزرائيل الموكل
بالأرواح ومنكر ونكير الموكلان بالسؤال في القبر ورضوان خازن الجنة
ومالك خازن النار . وكاتبنا الحسنات والسيئات ويسمى كل منهما رقيباً أى
حافظاً وعتيداً أى حاضراً

ويجب على المسلم أن يؤمن بالسؤال في القبر وبالسؤال بعد البعث
وبالسرائط بين الجنة والنار ، وبوزن الأعمال فالثواب عليها أو العقاب ،
ودليل هذا المعتقد من الإسلام موجود في القرآن عند قوله عز وجل
« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى »
« وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ »

ومن أهم مميزات المسلم في نظر الإسلام : الصبر والشكر ، الصبر في
موطن البلاء والشكر عند مجيئه النعماء وهما نصف الإيمان لما جاء في الأثر .
وقد قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنتم ؟ قالوا :
مؤمنون . قال : ما علامتكم إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء والشكر عند
الرخاء والرضا بمر القضاء والصدق في موطن اللقاء وترك الشتمة بالاعداء .
فقال : « حكماء علماء كانوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ،

وقال (صلعم) « والذي نفسي بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان
خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان
خيراً له فقال وليس ذلك إلا للمؤمن ،
وللشريعة الإسلامية ثلاثة عشر ركناً .

أولها الشهادتان وهي الفطرة ، والصلوات الخمس وهي الملة ، والزكاة وهي
الطهارة ، والصيام وهو الجنة ، والحج وهو الكمال ، والجهاد وهو النصر ،
والأمر بالمعروف وهو الحجية ، والنهي عن المنكر وهو الوقاية ، والجماعة
وهي الألفة ، والاستقامة وهي العصمة ، وأكل الحلال وهو الورع ، والحب

والبغض في الله وهو الوثيقة ، والبر أو حسن التعامل مع الناس وهو الخاق .
ومن حق المسلم على المسلم عشر خصال وهي :

أن يسلم عليه إذا لقيه ، ويحييه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس ، ويعوده
إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات ، ويبر قسمه إذا أقسم عليه ، وينصح
له إذا استنصحه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه ، ويجب له ما يجب
لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه .

ومن حق جماعة المسلمين عليه . أن يعين محسنهم وأن يستغفر لمذنبهم
وأن يدعو لمذبرهم وأن يحب تائبهم كما جاء في الحديث الذي رواه أنس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى المسلم في حق جسده خصال منها : المضمضة
والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق شعر الرأس والختان والاستحداد
وانتفاض الماء وهو الاستنجاء وتنف الأبط وتقليم الأظفار وغسل الأبراجم
وتنظيف الرواجب والتطيب والاستحمام .

وعليه في حق باطنه : سلامة القلب وطهارة النفس وخشية الرب ودوام
التوبة والاستغفار من الذنب .

وأفضل صيغ الاستغفار ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
سيد الاستغفار :

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ
لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »

ثم دوام ذكر الله لقوله تعالى

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا »

ومن أحسن ما جاء في فضل الذكر انه سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أى الجهاد
أفضل ؟ وفي رواية : أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة يارسول الله؟

قال : أكثرهم لله ذكرا . ثم سئل . أي الصائمين أعظم ؟ قال : أكثرهم لله ذكرا
ثم ذكر السائل الصلاة والزكاة والحج والصدقة ورسول الله يقول : أكثرهم
لله ذكرا . فقال أبو بكر : قد ذهب الذاكرون بكل خير . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أجل وحسبك في ذلك قول الله تعالى

« إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ »

ومن حق الله على المسلم أنه إذا استيقظ من نومه صباحا قال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ . أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ
الْمَلِكُ لِلَّهِ . أَصْبَحْتُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَدِينِ مُحَمَّدٍ
وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا
الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا فِيهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيهِ . رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَإِلَيْكَ أُنْبَدْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »

وإذا خرج من بيته إلى المسجد قال :

« اللَّهُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي إِلَى بَيْتِكَ أَقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاكَ .
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمَشَايَ هَذَا إِلَيْكَ أَنْ
تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »

فإذا دخل المسجد قال :

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي
أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ . فإذا ركع قال في ركوعه : اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَلَكَ خَشَعْتُ
وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ . خَشَعَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَخَجِّي
وَعَظْمِي وَعَصَبِي وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وإذا سجد قال :

سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَائِمِينَ . اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخِيَالِي وَأَمَّنَ بِكَ فَوَادِي أَبْوؤُ بِنِعْمَتِكَ
عَلَى وَأَبْوؤُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي مَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »
وإذا أمسى وأراد النوم توضع يمينه على يمينه مستقبل القبلة ثم كبر
الله تعالى ٢٤ مرة وسبحه ٢٣ وحمده ٢٣ ثم قال :

بِسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي . اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي
وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا . اللَّهُمَّ إِنْ قَبَضْتَهَا فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا
فَاخْفِظْهَا بِمَا تَخْفِظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ . اللَّهُمَّ أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ
إِلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْنِي فِي أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ وَقَرِّبْنِي إِلَيْكَ زُلْفَى يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

ويقول عند ابتداء الأمور : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ
أَمْرِنَا رَشَدًا . رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . فاذا غضب قال :

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبِي وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

ويقول عندما يصيبه من خسارة : عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنْنا إِلَى
رَبِّنَا رَاغِبُونَ . فاذا وجد وجعاً في جسده قال بعد أن يضع يده على الذي يؤلمه

من جسده : بِسْمِ اللَّهِ (١) أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ

(٧) فاذا بلغه وفاة أحد قال : إِنْنا لِلَّهِ وَإِنْنا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ وَإِنْنا إِلَى رَبِّنَا

لَمُنْقَلِبُونَ . اللَّهُمَّ فَاصْنَعْ لِي فِي الْمَحْسِنِينَ وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عَالِيَيْنِ وَاخْلُفْهُ عَلَى

عَقْبِهِ فِي الْغَابِرِينَ . اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنْنَا بَعْدَهُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ .

فاذا زار المقابر قال : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا آلَ دَارِ قَوْمِ مُؤْمِنِينَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَالْمَحَالِّ الْمُقْفَرَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ

وَالْمُسْلِمَاتِ أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ فَارِطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ لِأَحَقِّ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا
وَلَهُمْ وَتَجَاوَزْ بَعْفُوكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ .

معرفة الله والايان به ضرورة حتمية

وبعد : فيا أيها الباحث عن حقيقة وجود الله بغية عرفانه وعن الدين والمعتقد
والعالم الآخر وعن صلاحية ما أنزل الله من كسب وشرع من شرائع لهداية
البشر .

وأنت أيها الخائر المتردد أيتبع هذا الدين أم ذلك أم يترك الأديان كلها
ظهوريا ويعيش دون أن يتقيد بديانة من الديانات أو ينصاع لشرعية من الشرائع
اصغ إلى واعظي أكثر انتباهك وكن متحررا من كل تقليد سابق لهذه
اللحظة واني بعد ذلك سأذكرك : هل ضاقت بك نفسك يوما وضاقت عليك
الأرض بما رحبت الأمر الذي يحدث لكل انسان في كل وقت فتمنيت
الخروج من هذه الحياة على أثر أزمة نفسية أو ضائقة مالية أو حادث عائلي
أو كارثة من الكوارث العامة أو مصيبة حلت بحبيب لك ؟ إذا كان شيء من
هذا قد رأيته أو حصل لك حتى ضاقت في وجهك فجأج الأرض ورحابها
وأظلم في نظرك جوها فماذا صنعت حين ذلك ؟ ألم تكن تشعر في مثل تلك
اللحظات العصبية بضعف كيائك وضآلة وجودك ومحدودية قوتك ؟ ثم ألم
تلك تشعر مع هذا الشعور بأن في الوجود قوة مطلقة محيطه بكل شيء أو قفك
تدبيرها ونفاذ إرادتها لتتميم أغراضها موقفك الذي نتحدث عنه ؟ وألا تشعر
في مثل تلك اللحظات بصوت الاستغاثة ينبع من صميمك وهناك الاستنجاد
ينساب من فؤادك كبريق النور مستمدا العون ومستنجدا بتلك القدرة الفائقة
المسيطرة على كل شيء في الوجود ؟ ثم هل رجعت يوما الى نفسك فشعرت
بنقص في كيائك وقصور في بشريتك فرأيت عقب ذلك أنه قد انتشر في زوايا
قلبك سلام العقيدة ونور الايمان وسكينة الحشية لقوة روحية مطلقة تحيط

بوجودك وتشمل سائر كياناتك الداخلى والخارجى؟ إن كان مثل ذلك قد حدث لك يوماً وهو حال طبيعى يحدث لكل امرئ حتى ذى شعور ووجدان فما هى تلك القدرة العالية والقوة المطلقة التى تاتى فى رويدك عند ذكرها إذا ما استنجدت بها بريق الرهبة ونور الأمل عقب الزلل أو فى حال الندم أو فترة الضعف؟ ومن ذا الذى أمدك بهذا الشعور الرفيع الذى يعتبر غريباً عن موجبات غريزتك البشرية وشؤونها الأرضية؟ وما هى تلك الروح التى تمد نفسك بالأمل وتفعمها بالسرور والراحة والطمأنينة عند العمل الصالح أو الفكرة الخيرة والتى تشعر فى صميمك بالحاجة إليها دائماً؟ أقول: ما هى ياترى تلك القوة الفائقة والقدرة السامية التى تشعر فى صميم أفئدتنا بالحاجة إلى يدها القوية فتشبت بها ورحمتها الواسعة فنحن إليها، وعلما الغزير فعلق به حبال آمالنا وأمانينا؟ وبعبارة أخرى من هى تلك الذات الرفيعة الحكيمة العليمة لمحيطه بما يتخلل السموات والأرضين من أحداث وأسباب وعلاقات ولا يشذ عن علمها شئ فى السموات أو فى الأرض والتى كان منها البدء واليهما المصير؟ أتدرى من هى؟ هى (الله).

ثم هل حدث لك أن انزعت قيادك مرة من يد الشيطان (وأنت طبعاً تؤمن بوجوده) فخاص قلبك ونفسك من العلائق الدنيئة للحياة الطينية استعداداً للتعرف إلى مبدئك وخالقك؟ إن كان مثل هذا قد حدث لك فاعلم أن ذلك هو (الإيمان) ثم هل شعرت مرة بدافع يدفعك إلى الركوع بين يدي الله وأنت فى حالة خشوع واستعداد للتقرب إليه والاقبال عليه والاحسان إلى سائر خليقته؟ إن كان مثل ذلك قد وقع فاعلم أن ذلك هو (الدين).

وهذه الأمور كلها قد تنزع إليها نفس الإنسان وهو غافل عنها وتصبو إليها روحه وإنما قد يغالطها، وكل من استقرأ اللحظات الدقيقة من حياته والسوانح الخاطرة لفؤاده، فهو مدرك بلا ريب صحة ما نقول إن كان لبيباً واعياً.

كيف لا وقد خاق الله الإنسان ابتداءً ولم يك شيئاً ثم أودع فيه الإدراك
ووهبه التمييز والتعقل ثم أنزل له المكتتب وأرسل الرسل وحدد السبيل إليه
ثم قال له : هلم عبي ومن ذلك الطريق فاسلك إلى واعرفني ، كل ذلك يتم
والإنسان معرض عن ربه وكأن الله قد صنع كل ما صنع يريد به خداع لإنسان
لا هدايته وكأنه لا يريد أن يؤمن بالله حتى يراه جبهة مشخفاً يقع عليه نظره
ويدركه حسه دون أن يتعرف هو إليه بقلبه وبسلوك سبيله الذي رسمه لمعرفته .
وأنت أيها القارى إذا أردت أن تعرف الله فثق أن ذلك لا يكون إلا
بقلبك وبقلبك نقط مستهديا بنور بصيرتك فانك أقرب إلى الله من كل شيء
عدك ولن نجد الله قط في زوايا البراهين والنظريات ولا في طوايا المكتتب
والمجلدات التي لا تهذب نفساً ولا تنور قلباً ولا تسكسب إيماناً والتي قد تدل
ولا توصل سيما إذا أجذبت من نور اليقين والحكمة وإنما يجب عليك أن
تعرف الله عن طريق محبته والاذعان له والاقرار به أرواحاً حيث أنك وعقلك
وفكرك ومباحثك وإيمانك وحتى الحدك كل هذه أضواء لوجوده وهو
المصدر الكلى للجميع مع تنزيهه عن الجميع .

ظننت جهلاً بأن الله تدركه ثواقب العقل أو يحويه برهان
أو العقول أحاطته بديتها أو أن يكون به لولاه إيمان
وإلا فقل لى بأبيك دل يمكنك أن تحكم بفساد أو صحة مسألة جبرية أو
هندسية بدون أن تحيط بعلم ما يلزم لذلك من المعارف الرياضية والمعلومات
الفنية ؟ أو هل يمكنك أن تحدد جرم الشمس بمجرد النظر إليها من بعيد
نظراً سطحياً غير آلة تقرب اليك المسافات وتعين لك الأبعاد فضلاً عن استعدادك
مبدئياً للنظر ؟ وهل يمكنك أن تقف على ظهر باخرة في أحد المحيطات فتعين
لنا الجهة التي تريد الوصول إليها من هذا المعمور الشاسع بدون (بوصلة) تدلك
على السبيل القاصد الى غايتك وتكون مرشداً لك صوب وجهتك ومعنى ذلك

أن لكل شيء طريقاً من طلبه من غيره أخطأ القصد وبعد عن الغرض
وإذن فلدن ضروري للبشر . ولماذا ؟ لأنه علم المعرفة بالله وهو البوصلة
المعينة الاتجاه الصحيح في خضم هذه الحياة والمار الذي يهدي الإنسان إلى الشاطئ
الثاني شاطئ الحياة الآخرة وهناك النعيم الدائم أو الشقاء الأبدى « وَأَنْ لَيْسَ
لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى .
وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى »

ما هو الاسلام ؟

وكنتيجة للبحث هل تصورت الحرية شاملة والسعادة حاضرة والعدالة مرفوعة
والاستقامة آخذة بأيدي الناس إلى سواء السبيل ؟ وهل رأيت النهج القويم
والصراط المستقيم والحب انبثقا من القلوب إلى القلوب والعقل مثبتاً والنظر في
الكائنات متجدداً ؟ وهل رأيت المساواة عامة بين الصلوك والأمير والشورى
آخذة بالباب الجميع ؟ فإن تصورت كل ذلك حاضراً في ذهنك لواعى فاعلم ان
ذلك هو (الاسلام)

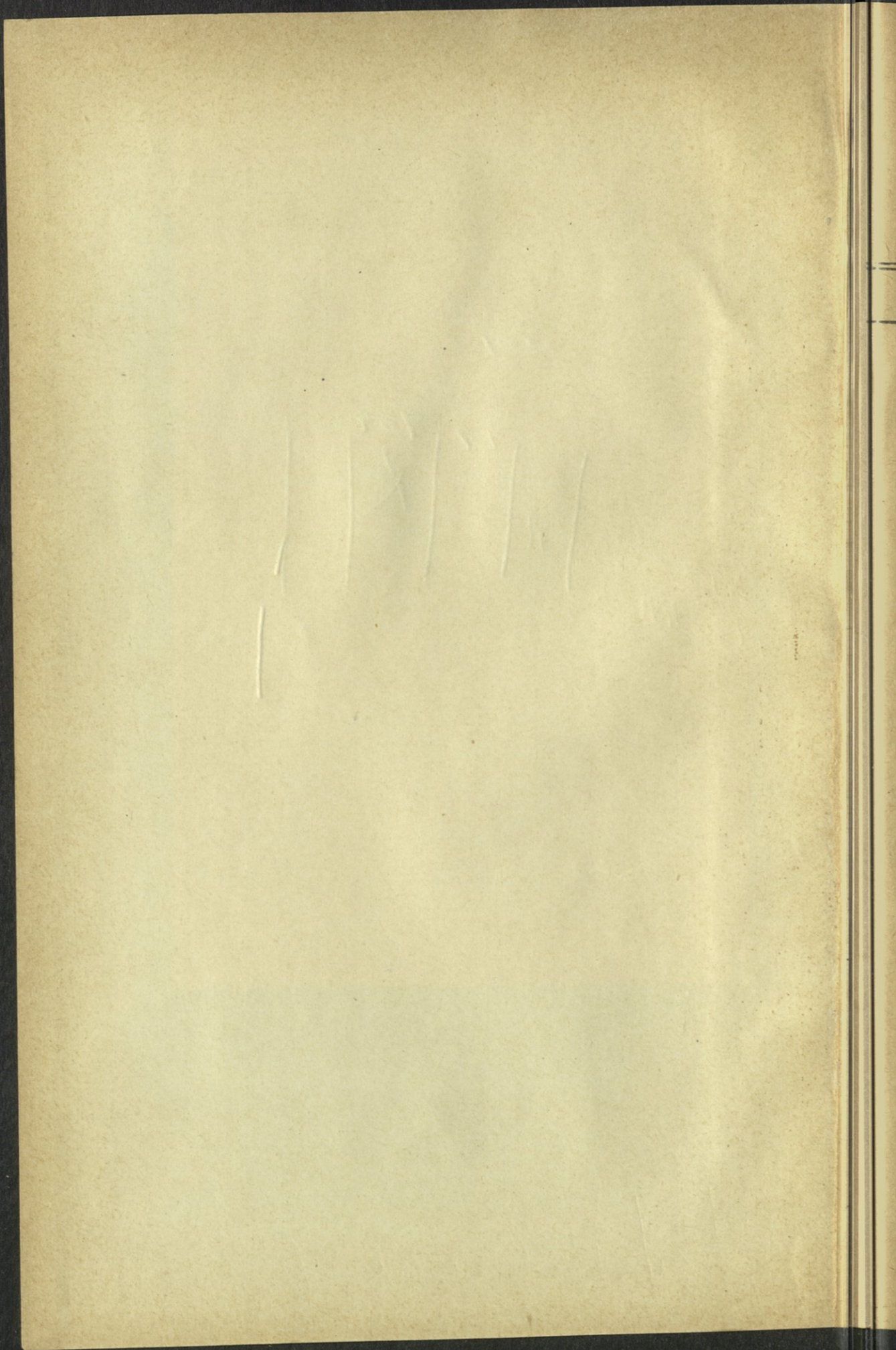
والاسلام يارعاك الله دين الفطرة ومهد البصيرة وعبادة الواحد الأحد
وبغض الشرك وهجر الظلم والبغى وهبائية الرياء والنفاق وتطهير النفوس
وتنوير القلوب واعتناق مكارم الأخلاق والحكم بالحق ولو على النفس
والأهل واستسعار الخشية وشحن الهمة وخدمة الانسانية ودعم الأعمال
بالنية خالصة لوجه الله

« يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيبَةَ وَيُهَيِّجَ لَكُمُ الْوَجْهَ الْكَافِرَ وَالَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا »

(تم بحمد الله تعالى)
فلتحميا السجدة

فهرست كتاب حكمة الاسلام

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
حكمة الإسلام في معتقده وفي أحكامه ومراميه	٤
الإسلام برىء من التعصب	٩
لا إله إلا الله	١٨
الإيمان في نظر أهل الإسلام	٢٢
الإسلام والعلم	٢٥
بين العلم والدين	٤٦
وجوب الاعتقاد بالخالق	٥٢
الله موجود	٦٥
الإسلام والتدين	٦٨
محور الإسلام وهدفه	٧٥
أصول الإسلام وقواعده	٨١
محمد رسول الله (صلعم)	٨٦
معرفة الله والإيمان به ضرورة حتمية	٩٢
ما هو الإسلام ؟	٩٥



297:M29hA:c.1

المنوفى، محمود ابو الفيض
حكمة الاسلام في معتقده، ومقاصده واح

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01004178

American University of Beirut



297

M29hA

General Library

297
M29hA
C.1